الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر– بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

السِّمات الفنية لشعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف في الأندلس(422 هـ.484هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب: إشراف الدكتورة:

– هيثم بن عمار – حياة معاش

السنة الجامعية: 1435هـ/1436هـ

2014 / 2015م

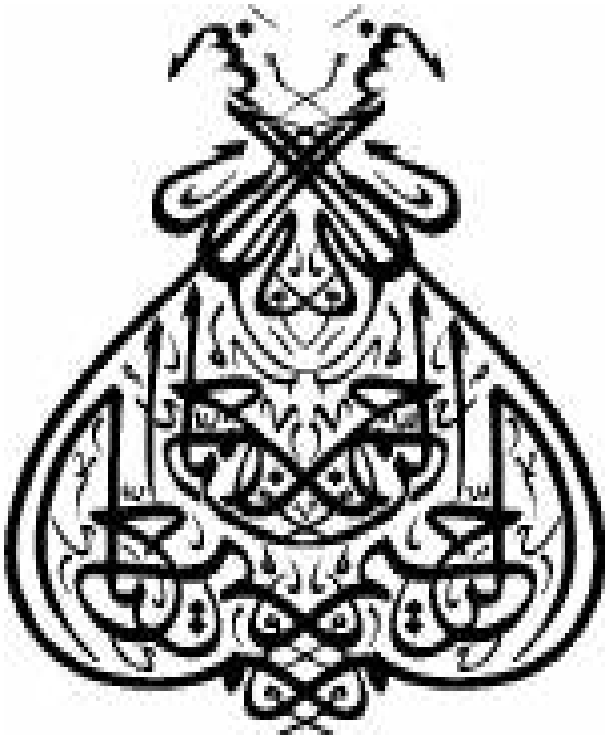

شكر و عرفان

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

أشكر الله عز وجل الذي وفقني لانجاز هذا البحث، كما أتقدم بأسمى معانيا الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة" حياة معاش" على حسن إشرافها على موضوعي ،وعلى ما قدمته لي من توجيهات صائبة طيلة فترة إنجازي لهذا العمل، والتي لم تبخل علي ولو بنزر قليل من المعلومات .

كما لا يفوتني أن أتقدم بفائق الشكر والامتنان للأساتذة الذين ساعدوني في انجاز هذا البحث، وشكري الخاص للوالدين الأعزاء اللذين قاسموني متاعب الحياة وأفراحها كما أشكر جميع أساتذة قسم الأب العربي على ما قدموه لي من عون طيلة مسيرتي الدراسية.

مقدمة

مقدمة:

الأندلس حضارة امتد تاريخها من القرن الثاني حتى نهاية القرن التاسع الهجري، فانبثق منها تاريخ حافل بالفنون والعلوم والآداب وسائر النشاطات الثقافية والفكرية والحضارية،فأصبحت تضيءُ في سماء غُشيت بالظلمة وانطفأ بصيص الأمل فيها جاورها من البلاد الأوروبية التي كانت تعيش في جهالة عمياء، فأضحت الأندلس من وقتها تشع نوراً وعلماً.

وبالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الأدب الأندلسي الشعر خاصة، وبما أسهمت به هذه الدراسات في إعطاءه لنا، صورة عن هذا المنتوج الأدبي ، إلا أنها لم تتناول شعر الاستعطاف موضوعا مستقلا، فكان لا بد لنا أن نحاول الكشف عما خفي فيه من رؤى وأفكار ومبادئ عبر التركيز على تتبع أهم المكامن الخفية الموجودة في هذا النوع من الشعر.

ويقف وراء هذا الاختيار أسباب عديدة تتوزع بين ذاتية وموضوعية تأتي في مقدمتها شغفي بالشعر الأندلسي بالإضافة إلى محاولة تسليط الضوء على فترة هامة في سير الأدب الأندلسي والتي كان لها أثرا كبيرا في تغيير مجرى التاريخ وهي فترة ملوك الطوائف.

وكانت الإشكالية المطروحة حول إمكانية عد شعر الاستعطاف كغرض مستقل؟ وإلى أي مدى يمكن تبيين البعد الدلالي والجمالي لهذا النوع من الشعر ودوره في الكشف عن العلاقات الخفية التي تربط بين أجزاء النص؟ وما هي الخصائص الجمالية التي تميز بها؟

ولطبيعة الموضوع اقتضت الإشكالية المطروحة إتباع المنهج الوصفي التحليلي والاستعانة بالمنهج التاريخي في تتبع الحالة السياسية والأدبية لعصر ملوك الطوائف

ويقف على تتبع مراحل تطور شعر الاستعطاف عبر العصور السابقة للعصر محل الدراسة، والفني للكشف عن جماليات قصيدة الاستعطاف وإبراز بعض مميزاتها، والوقوف عند أقسامه وأبرز شعراءه، وقد تطلبت المادة العلمية المجموعة لخدمة البحث أن تكون خطتي في مدخل وفصلين يسعى كل منهما أن يكون مكملا للآخر ، فكان المدخل كوصف للحالتين السياسية والأدبية للعصر، وعرضت فيه إلى معنى الاستعطاف وتتبعه عبر العصور السابقة له، ثم كان الفصل الأول الذي جعلته دراسة لشعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف وأقسامه، وأبرز شعراءه.

أما الفصل الثاني الذي أفردته بالحديث عن جماليات هذا النوع من الشعر فتحدثت فيه عن بناء القصيدة كما تحدثت عن الصورة الشعرية (البيانية ، البديعية)، كما عرضت للوزن والقافية ، ثم ختمت بالحديث عن استلهام الشعراء للتراث، وقد كان اعتمادي في البحث بالدرجة الأولى على : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني، والحلة السيراء لابن الآبار وعلى بعض الدواوين لشعراء هذه الفترة ،وقد زادت بعض المراجع أيضا ثراء بحثي هذا ومنها : الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق والتاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة لعبد الرحمن علي الحجي وغيرها من الدراسات التي ساهمت في إثراء البحث، كما اعتمدت على بعض الدراسات السابقة منها" " الاستعطاف في الشعر الأندلسي" عصر ملوك الطوائف" لـ محمد جاسر" وأخيرا نقول أن الباحث قد واجهته بعض العقبات هي أن المادة العلمية مبثوثة في أمهات الكتب وتتطلب تركيزا لترتيبها.

وأخيرا أشكر الله عزَّ وجلَّ الذي وفقني لإنجاز هدا البحث، كما أتقدم بالشكر للأستاذة المشرفة " حياة معاش" على صبرها وتوجيهاتها ونصائحها القيمة.

مدخل:

1-ملامح الحياة السياسية والأدبية في عصر ملوك الطوائف.

2-شعر الاستعطاف معناه وتطوره.

1-ملامح الحياة السياسية والأدبية في عصر ملوك الطوائف: (422 هـ484هـ)

كان حُكَمُ عبد الرحمان الملقب بـ (شنجول) للأندلس عام (399 هـ) إيذانا بالضعف وتراجع السلطة، وذلك لسوء إدارته وحماقة تصرفاته، وطمعه فيما بقي للخليفة الأموي من السلطة الروحية، وأراد أن يستأثر لنفسه بالسلطة الشرعية في الدولة، أي بالخلافة نفسها، بعد ما تنازل له الخليفة هشام بالحكم ،وهو ما يعرف بعهد الفتنة. [1]

أما الفترة الباقية من العصر الأموي بالأندلس فقد شهدت العديد من الاضطرابات التي أدت إلى الصراع بين العناصر المختلفة كالبربر والصقالبة والعرب، مما أدى إلى انقسام الدولة واضطرابها إلى أن سقطت سنة (422 هـ- 1031م)وتم عزل آخر خلفائِهَا الخليفة هشام الثالث الملقب بـ (المعتمد بالله) [2]؛ ولقد نتج عن سقوط الدولة الأموية أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة متفاوتَةً في المساحة والقوة، وانتقل كل أمير بناحيتِهِ، وأعلن نفسه ملكا عليها، وبهذا دخلت البلاد عصرا جديدا عُرِف بعصر ملوك الطوائف. [3]

قامت في الأندلس خلال هذه الفترة العديد من الدويلات اختلفت عددا من زمن لآخر، كما اختلفت جنسا ومن هذه الدويلات نذكر: مملكة قرطبة والتي حكمها بنور جهور، ومملكة إشبيلة التي حكمها بنو عباد ومملكة سرقسطة والتي حكمها بنو هود،

---

[1] – ينظر:أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، (د ط)، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 250.

[2] – المرجع نفسه، ص 254.

[3] – ينظر: عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 1994، ص323.

ومملكة طليطلة التي حكمها بنو ذي النون ومملكة غرناطة والتي حكمها بنو زيري، إضافة إلى العدد من الدويلات الأخرى. [1]

وقد قامت بين هذه الدويلات العديد من الحروب وذلك راجع إلى ضعف السلطة المركزية، وفساد إدارتها وانحلال أجهزتها التنفيذية من الجيش والمالية، ما جعل بعض ملوكها يتخاذلون أمم الإفرنج، ما جعل الفرصة تسمح للعدو المتربص ليتطلع على ما أصاب المسلمين من ضُعْفِ وتهاون وتخاذل وصراع[2].

ويؤكد الدكتور **حسين مؤنس** « **أن مصيبة الطوائف لم تقتصر على تقسيم أرض الأندلس إلى دويلات صغيرة مستضعفة، بل إن هذه الأقسام المستضعفة كانت تجاور إمارات نصرانية عاشت دائما تحت خلافة قرطبة، وكانت حياتها إلى ذلك الحين شظنا- فما كادت ترى أراضي المسلمين إلى جوارها بدون حماية حتى انقضت عليها ووسعت أراضيها على حسابها، وتحولت من إمارات تكافح للبقاء إلى ممالك تعمل على توسيع رقعتها، وتطمع في الإستيلاء على بقية شبه الجزيرة**»[3]

من هنا شعر الأندلسيون أنهم لن يستطيعوا أن يقاوموا عدوهم، فتطلعت أعينهم إلى المرابطين فجاؤوا إلى نجدتهم، وتم الإنتصار الباهر على ألفونسو السادس في موقعه الزلاقة الشهيرة بالإشتراك مع بعض ملوك الطوائف سنة (479 هـ)، غير أن استمرار هؤلاء الملوك في التناحر دفع بيوسف بن تاشفين إلى بسط سيطرته على الأندلس سنة (

---

[1] – المرجع السابق: ص 355. وينظر: عمر إبراهيم توفيق: الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي، دار غيداء للنشر، ط1، عمان، الأردن،ن 2012، ص 118.

[2] – عمر إبراهيم توفيق: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ص 128.

[3] – حسين مؤنس: معالم وتاريخ المغرب والأندلس، دار المستقبل، ط1، القاهرة، مصر، 1980، ص 12.

484 هـ) وخلع ملوك الطوائف جميعا وأسر عددا منهم واستمر حكم يوسف بن تاشفين للأندلس حتى وفاته سنة (500هـ). [1]

ولم تتمكن الأندلس من ذلك الحين استرداد وحدتها وتماسكها كما كانت أثناء حكم عبد الرحمان الثالث (الناصر) ؛بل بدأت سلسلة طويلة من الصراع السياسي الديني مع النصارى، تعرضت خلالها للكثير من حملاتهم ومأمراتهم حتى أفضى ذلك إلى ضياع أكثر المدن الأندلسية تباعا، فسقطت بلنسية سنة (636هـ)، وسقطت إشبيلية وغيرها في يد فرديناند الثالث ملك فتشالة وخايمي الأول ملك أراجون سنة (646هـ) وسقطت طليطلة في يد ألفونسو السابع، ولم ينقض عام (477هـ) حتى أصبحت الرقعة الأندلسية محصورة في مملكة غرناطة وحسب. [2]

وعلى الرغم من اضطراب الحياة السياسية في الأندلس خلال تلك الحقبة فقد شهدت الحياة الأدبية نهضة واسعة، كون تيار الأدب خمد فترة في عصر الفتنة (399 هـ- 422هـ) ؛إلا أنه عاد من جديد بحلول عصر الطوائف (422هـ - 488هـ) إذا ازدهر الشعر في بلاطات الأمراء ازدهارا واسعا، وكان لشاعرية المعتضد وابنه المعتمد الأثر الكبير في حركة الشعر، فاجتمع لديهم العديد من الشعراء، وتعددت أسماء الأدباء، وتكاثرت المراكز الأدبية، وكثر الممدوحون وحماة الأدب ورعاته، وكثرت دواوين الإنشاء وتعدد الوزراء والكتاب والشعراء، وأصبحت المنافسة أشد وأقوى[3].

اهتم ملوك الطوائف بعقد المجالس الأدبية ؛وذلك لتشجيع واستقطاب الشعراء عن طريق اغداق الجوائز عليهم لرفع مكانة دولهم سياسيا وثقافيا أمام نظرائهم من الملوك

---

[1] – ينظر: أشرف محمود نجا: قصيدة المديح قضاياها الموضوعية والفنية " عصر الطوائف"، دار الوفاء، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص 11.

[2] – المرجع نفسه، ص 12.

[3] – أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص 256.

الآخرين حتى قيل:« **أن أحد الشعراء بلغ به لما رآه من منافستهم في امداحه ،أنه حلف أن لا يمدح أحدا إلا بمئة دينار، وأن المعتضد لشهرته وهيبته كلفه أن يمدحه فأبى حتى يعطيه ما اشترط**»[1]، وكان لمجالس الأنس التي تعتقد في بلاطات الملوك والقصور التي يتخللها مناظرات أدبية أثر في دفع الحركة الشعرية والنقدية، وكانت العامة يشاركونهم الإهتمام بالشعر وبرز في هذا العصر العديد من الشعراء منهم: ابن زيدون – ابن عبدون – ابن وهبون– ابن عمار... وكان للمرأة دورها المهم في الحياة الأدبية أيضا؛ فقد كثر عدد الإماء والجواري في القصور ودور الأغنياء ،وكُنَّ على وجه العموم يثقفن ثقافة خاصة، تساعدهن على أداء واجباتهن كرواية الشعر والغناء والموسيقى، ولم يكن الأغنياء يعملون على تعليم النساء اللواتي برز فيهن عددا من الشاعرات وفي طليعتهم ولادة بنت المستكفي. ولقد عبر هؤلاء الشعراء في شعرهم عن مزاج عربي جديد قد استقرت ملامحه في هذه البيئة الجديدة مما كان عليه أثره البالغ في توجيه فعل الإبداع الشعري لديهم[2]

2مفهوم الاستعطاف لغة:

أ .لغة:

" الاستعطاف" من مادة الفعل الثلاثي " عطف" نقول عَطَفَ– يَعطفُ – عَطفًا ونجد له أكثر من معنى كقولنا " يعطف الرجل الوسادة" « أي بمعنى يثنيها».[3]

---

[1] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ج2، ص 128.

[2] – عمر ابراهيم: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، ص 127.

[3] – الزمخشري: أساس البلاغة، تحيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

وجاء في لسان العرب لإبن منظور " الرجل عَطَّاف و عطوفٌ" أي بمعنى يحمي المنهزمين، وتعاطفوا أي بمعنى: عطف بعضهم على بعض[1]

وجاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي " انعطف الشيء إنعاج، انعطفتُ، أي انصرفتُ".[2]

ورد في القاموس المحيط " الناقة تَعْطِفُ على البؤ فترأمه"[3]

كما دل مصطلح " عطف" على الرحمة مثل قولنا " عَطَفْتُ عليه " " بمعنى: أشفقتُ عليه".[4]

وعَطَفَ الله قلبه أي بمعنى: " جعله رحيما"[5]

2- <u>اصطلاحا</u>:

ورد مفهوم الاستعطاف في المصادر القديمة بتعاريف متفاوتة أو بنسب قليلة فإذا أردنا أن نعرفه نقول:

وهو نوعٌ من ذلك الشعر الذي ينظمه الشاعر بنية استماله القلوب وطلب العفو وسماحة المستعطف. [6]

كما قَرَنَ البعض الإستعطاف بالاعتذار، وكما ربطهُ البعض بالحياة؛ لأنه يهتم بتصوير مختلف جوانبها. [7]

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب،دار صادر للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1956،مج 9، مادة عطف، ص 250.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق عبد المجيد هنداوي،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003 .

[3] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت، لبنان، 1996، ص 1083.

[4] – المصدر نفسه، ص 1084.

[5] – المنجد الأبجدي: المؤسسة الوطنية، دار المشرق، ط 8، بيروت، لبنان، 1967، ص 704.

[6] – حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي المكتبة البوليسة، ط1، بيروت، لبنان، (د/ ت)، ص 801.

[7] – عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1976، ص 230.

لكن إذا تتبعنا مسار هذا الفن نجد أنه لم يخْلُ عصرًا من العصور الأدبية إلا وقد نبغ شاعرا أو أكثر في الإستعطاف، ولكن بحلول عصر الطوائف فإنه، قد نمى وازدهر وذلك يعود إلى ما أقره **أحمد هيكل** يقول « **وقد كان الاستعطاف نتيجة لطبيعة وجود كثير من الضحايا السياسيين في تلك الفترة**».[1]

وأحيانا نجد أن الشاعر يجمع بين الاستعطاف وأغراض أخرى، كالمدح والشكوى... وكل هذا من أجل التأثير في الشخص المُستَعْطَفْ، لينالَه العفو وغفران الذنب[2] .

ووردت كلمة " عطف" في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى :﴿ **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [3] بمعنى: لاويًا عُنُقَهُ. [4]

كما دلت هذه الكلمة بمعنى الشفقة والرحمة والحنان وذلك ما نلمسه في قول الرسول ***صلى الله عليه وسلم*** « **خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوَمَ خَلَقَ السَمَوَاتِ وَالأَرضَ، مِائَةً رَحْمَةٍ، فَجَعَلَ فِي الأَرْضِ رَحْمَةٍ، فِيْهَا تَعْطُفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالبَهَائِم بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ (...) وَأَخَرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ إِلَى يَوِم القِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا اللهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**».[5]

---

[1] – أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح حتى السقوط، دار المعارف، ط 14، القاهرة، مصر، (د/ ت)، ص 280.

[2] – حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 802.

[3] – الحج :09.

[4] – ابن منظور، لسان العرب،ص 251.

[5] – محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، (د ط)، ج2، ص 1435.

كذلك قد وردت لفظة " عَطَفَ" في قوله ***صلى الله عليه وسلم*** :« **مَثَلُ المؤمنِينَ في تَوَادهم وَتَرَاحُمهمَ وتَعَاطُفهم كمَثَل الجَسَد الوَاحد، إذَا اشتَكَى منهُ عضوا تَدَاعَى لَهُ سَائرَ الجَسَد بالسَهَر والحُمَى**»[1]

وهنا تدل على الرحمة والتعاون بين الناس.

2/تتبع الاستعطاف عبر العصور

أ- <u>العصر الجاهلي</u>:

بدأت تتشكل ملامح شعر الإستعطاف أو ما يعرف بـ " **الاعتذار**" في الشعر الجاهلي فيما قدمه الشاعر النابغة الذبياني من قصائد، نظمها استعطافا " **للنعمان بن المنذر**" ملك الحيرة بعدما انقلب عليه بفعل الوشاة الحاسدين الذين أخذوا يتربصون به ليبعدوه عن بلاط المناذرة، وكان هذا ما تحقق ونزل الشاعر في بلاط الغساسنة بكنف عمر بن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ونال منهما الجوائز القيمة. [2]

وقد اعتذر النابغة للنعمان بن المنذر بقصائد استسلت سخيمته وعطفت عليه قلبه وحل عنده في منزلته الأولى، ومن جيد ما قال في الاعتذار:

أتاني أبيتُ اللعن أنّك لمتني

وتلك التي اهتم من بها وأنصبُ

فبتُ كأن العائِداتِ فرشْتَنِي

هَرَاسًا، به يُعلَى فِرَاشِي ويُقْشَـبُ

حَلفْتُ، فَلَمْ أَتْرُك لِنَفْسِكَ رِيْبَةً

---

[1] – المصدرالسابق: ص 1232.

[2] – النابغة الذبياني: الديوان، شرح وتعليق، حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1996، ص 12.

وليس ورَاء الله للمَرءِ مَذْهَـبُ

فلا تَرْكَنَّي بالوَعِيْدِ، كَأَنَّنِي

إلَى النَاسِ مَطلِيُ بِهِ القَارُ *، أُجْرَبُ

فَإِنْ أُكُ مَظلُومًا،فَعبْدٌ ظَلَمتُهُ

وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبى، فَمِثْلُكَ يعْتِبُ[1] **(الطويل)**

وقد حاول الشاعر في هذه القصيدة أن يثبت للملك براءته مما نُسِبَ إليه من ممالاة الغساسنة، فأقسم له أنه بريءٌ وليس وراء الله من مستعان يستعين به المرء، ومثل هذا القسم العظيم حري بأن لا يترك في نفس الملك ريبة[2] .

ويؤكد النابغة أن الخيانة التي تنسب إليه والذنب الذي يتهم بارتكابه ؛إنما هو من تلفيق الوشاة وكيد الحاقدين ولا نصيب لكل ذلك من الصحة يقول:

أَتَاكَ أمرُؤٌ مسْتَبْطِنٌ لي بِغَضَةً

لَهُ من عَدُوٍ، مِثل ذلك شَافِعٌ

أَتَاكَ يقَوْلٍ هلهلِ النسيِج، كَاذِبٌ

ولمَ يَأْتِ بِالحَقِ الذِي هو نَاصِعُ

أَتَاكَ بِقَوْلٍ كَمْ أَكُنْ لأقَوْلَهُ

وَلمَ كُبْلَتْ فِي سَاعْديّ الجَوَامِعُ[3] **(الطويل)**

---

[1] – النابغة الذبياني: الديوان، ص 23.

[2] – المصدر نفسه ص،24

*القار:البعير الأجرب

[3] – النابغة الذبياني: الديوان، ص 124.

ويؤكد النابغة للنعمان أن الأمر لا يعدو كونه وجد ناحية من الأرض ممهدة فقصدها ولاذ بها، لأن فيها ملوكا وإخوانا كلما قصدهم قربوه وبذلوا له أموالهم، وأن عملهم هذا لا يختلف عما يفعله الملك النعمان بالأقوام الذين يقربهم وينعم عليهم، فيشكرون له صنيعة دون أن يعتبرهم مذنبين في حقه على شكرهم له[1] .وفي هذه الأبيات إشارة واضحة على أن سبب نقمة النعمان على النابغة؛ إنما هو مدحه للغساسنة ولذلك فقد استدرار عطف النعمان فوصف شقَاءَهُ بعدما غضب عليه، وأنه أصبح مفردا يمشي بين الناس منبوذا كأنه بعير أجرب طلي جلده بالقطران. [2]

ثم ينهي الشاعر عليه بالمديح ما يناسب كبرياءه وسلطانه ،فيزعم له أن الله أعطاه منزلة يتخاذل من إدراكها باقي الملوك يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَعْطَاكَ سُوْرَةً

تَرى كُلّ مَلْكٍ دُوْنَهَا يَتَذَبْذَبٌ

حَلَفْتُ، فَلَمْ أَتْرُك لِنَفْسِكَ رِيْبَةً

وليسَ وراء اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

فَإِنَكَ شَمْسٌ و المُلُوكُ كَوَاكِبُ

إِذَا طَلَعَتْ لمْ يَبْدُ مِنْهُنَ كَوْكَبُ[3](**الطويل)**

وفي الأخير يقول له: لك الأمر كله فإن تظلمني فأنا عبدك وإن تصفح فمثلك من يصفح ويغفر.

---

[1] –ينظر: عروة عمر: حياة العرب الأدبية " الشعر الجاهلي"، دار مدني للنشر، ط2، الجزائر، 2008، ص 123.

[2] – المرجع نفسه، ص: 124.

[3] – النابغة الذبياني: الديوان، ص 25.

وهكذا ظل النابغة يرسل إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة قصائد من اعتذارياته الرائعة؛ ليتبرأ مما رمي به ويعتذر مما كان، وتوالت اعتذارياته على النعمان فعفا عنه وعاد إليه، وكان بذلك قد أضاف إلى أنغام الشعر العربي لونا جديدا لم يكن معروفا من قبل وفن الاعتذار. [1]

ب- العصر الإسلامي:

كانت العرب أمة وثنية تعبد الأصنام، وتستحل الربا، وتنتشر بينها الموبقات، فلما جاء الإسلام وأمر بعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام ونهى عن الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، قوبلت دعوته ***صلى الله عليه وسلم*** بالرفض من قبل المشركين واتهموا النبي ***صلى الله عليه وسلم*** بالكذب والسحر وبأنه شاعر. [2]

إن ما كان يكنه المشركون من مواقف معادية للرسول صلى الله عليه وسلم، فكان ما أن سمحت فرصة لشاعر إلا ونهض يهجوه، لكن ما بدر منهم بعد الفتح كان مخالفا لما صدر قبله، إذا اتجه الشعراء إلى الرسول صلى الله عليه سلم مستعطفين للرسول **صلى الله عليه وسلم** نجد الشاعر " **كعب بن زهير**" الذي ضاقت به بما رحبت بعدما وجد نفسه وحيدا بعدما أهدر الرسول ***صلى الله عليه وسلم*** دمه يقول:

كُلُ ابن أنثى وإن طالت سَلامَتهُ

يوما على آلةِ حدباء محمولُ

نُبِئَتُ أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول اللهِ مأمول

---

[1] – عروة عمر: حياة العرب الأدبية " الشعر الجاهلي "، ص 125.

[2] – ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود: قراءة في النقد القديم، دار المختار للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص 53.

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ

قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ[1] **(البسيط)**

عندما سمع الرسول ***صلى الله عليه وسلم*** هذه القصيدة تركت بعض الآثار النفسية في ذاته ***صلى الله عليه وسلم*** هذه وما قام به مع الشاعر " كعب بن زهير" بعد إنهاءه لقصيدته حيث قام وكساه بردته ومن هن ثم انتقال الشاعر من مرحلة الخوف إلى مرحلة العفو، لذلك قيل أن الرسول ***صلى الله عليه وسلم*** قد قبل عذر كل من اعتذار إليه[2]

وما روي أيضا أن عمر رضي الله عنه قد سجن الحطيئة (توفي 45 هـ) بسبب هجائه للزبرقان بن بدر، وبعد أمد قضاه في السجن، حاول الشاعر أن يقدم بعض الأبيات الإستعطافية لعله يلين قلب عمر رضي الله عنه فيطلق سراحه يقول:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بذي مَرَخٍ

زُغْبَ الحَوَاصِلِ لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ

فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا عُمَرُ

أَنْتَ الإِمَامُ الْذي مِنْ بعْدِ صَاحِبِهِ

أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيْدُ النُّهَى البَشَرُ[3] **(البسيط)**

---

[1] – كعب ابن زهير:الديوان،تحقيق:علي فاروق،دار الكتب العلمية،دط،بيروت،لبنان،1997،ص54.

[2] – شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي"، دار المعارف، ط7، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 86.

[3] – الحطيئة جرول بن أوس: الديوان، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1867، ص، 164، 165.

لقد صور الحطيئة حاله وحال صغاره تصويرا دقيقا ومؤثرا، مما جعل عمر رضي الله عنه يبكي عند سماعه البيت الأول، ثم يعفو عن الخطيئة ويطلق سراحه بعد أن أخذ عليه المواثيق بأن لا يعود إلى الهجاء.

فهذا حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (ت 54هـ) شاعر الرسول **صلى الله عليه وسلم**، أنه وقف بين يدى عائشة **رضي الله عنها** مستعطفا ومعتذرا عما صدر منه في حقها، بعد أن رماها بالإفك فجاءت هذه الأبيات بعد أن برءها الله عز وجل، فيقدم حسان هذه الأبيات عله ينال عفو و رضى عائشة رضي الله عنها يقول:

حَصَانٌ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَ تُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ

حَلِيْلَةُ خَيْرَ النَّاس دينًا وَمَنَصِبًا نَبِيُ الهُدَى وَ المَكْرُمَاتِ الفَوَاضِلِ

مُهذَبَةٌ قَدْ طَيَبَ اللهُ خِيمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلّ سُوْءٍ وَبَاطِلِ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الذي فَتَزَعَمْتُمُ فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي

فإِنّ الذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلاَئِطٍ* وَلَكِنَّهُ قَوْلُ إِمرِئِ بِيَ مَاحِلِ*[1] **(الطويل)**

فاعتذر حسان في شيء نُفِذَ فيه حكم الرسول **صلى الله عليه وسلم** بالحد وزعم أن ذلك قول إمرئ ماحل أي مكايد.

ج- <u>العصر الأموي</u>: شهد الشعر في هذا العصر تنوعا وتطورا عما كان من قبل في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام؛ وذلك نتيجة عودة الروح العصبية بأشد مما كانت عليه في العصر الجاهلي، كذلك بفضل بواعث سياسية واجتماعية طرأت على المجتمع

---

[1] – حسان بن ثابت الأنصاري: الديوان، تحقيق: عبد الله سنرة، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 202- 203.

*ماحل:مكايد *لائط:أُلصقَ بها

في هذا العصر،وكان لهذه الحركات دورا في بروز العديد من الشعراء في بيئات مختلفة ولهم نزعات سياسية ومذاهب أدبية مختلفة[1] .

وبما أن الشعر قد ازدهر عامة وبالخصوص شعر الإستعطاف والاعتذار؛ الذي كان يهدف من خلاله الشعراء إلى طلب الصفح والعفو عنهم، فهذا أعرابيٌ قد سرق فأتي به إلى " **عبد الملك بن مروان**" فأمر بقطع يده، فلما سمعت أمه بهذا الحكم ذهبت الأمير المؤمنين لتتعطفه ليغفر له ذنبه، لكن الأمير أبى إلا أن يقيم عليه الحد، مما جعل الشاعر يقول:

يدى يا أمير المؤمنين أُعيْذُهَا

بِعَفوكَ أن أَتلِقَى مَكَانًا يُشِيْنُهَا

ولا خَيْرَ فِي الدّنْيَا و كانَتْ حَبِيبَةً

إذّا مَا شِمَالي فَارَقَتْهَا يَمِيْنُهَا [2] **(الطويل)**

وبعد ما سمع – عبد الملك بن مروان– هذه الأبيات عفا عنه.

وما روي أيضا أن شاعرا يدعى " **عبيد بن أيوب العنبري**" كان لصا حاذقا أباح الأمير دمه فهرب في مجاهل الأرض وأنس بالوحوش لما علم بإقامة الحد عليه وكتب إليه يقول:

أذِقني طَعْمَ النَوْمِ أوسَلْ حقيقةِ

عَلَيَّ فإن قامت فَفَصَّلْ بَنَانِيَا.

---

[1] – ينظر: أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، تح: محمد حسين الأعرجي، دار موفم للنشر، (د ط)، الجزائر، 2007، ج8، ص 3673.

[2] –ابن عبد ربه: العقد الفريد ، تحقيق:محمد التونجي،دار المدارالثقافية، ط1 ،البليدة ،الجزائر،2009،ج2 ،ص137.

خَلَقْتُ فُؤَادي فاستَطارَ فأصبحتْ

تَرامى بِيَ البيْدُ القِفَارُ تَرامِيَا

وَإِنَّ عَفْوَكَ إِنَ عَفْوت

كَالقَمَرِ المُضِيءُ يُضِيئُ لَيَالِيَا [1]

(الطويل)

– فلم سمع الحجاج هذه الأبيات عفا عنه.

د– <u>العصر العباسي</u>: يعد العصر العباسي من أطول العصور زمنا وأثراها شعرا، وكان أزهى عصور الإسلام. وصفحاته المشرقة من أنصع الصفحات في التاريخ السياسي والأدبي[2]، وقد اختلفت دوافع الاستعطاف في هذا العصر بين محكوم عليه بالموت وآخر سارق ينتظر الحكم عليه، وما صدر من هذا النوع في هذا العصر أن رجلا يدعى " **تميم بن جميل**"* لَمَا بلغ من سخط الأمير " **المعتصم**" بعد ما طال به طيشه للعقاب، وأمر الأمير بقطع رأسه ها هو يطلب العفو والرحمة منه يقول:

أرى الموتَ بين السيف والنطع كَامِنَا

يلاحظُني من حيث أتلفتُ

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي

وأيُ امرئٍ مما قضى اللهُ يُفْلِتُ

ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ و حجةٍ

و سيف المنايا بين عينيه مُصَلَتُ ؟

---

[1] –المصدر السابق: ص 133.

[2] – المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ، ص115

*شاعر من بني تميم أحد الشعراء الصعاليك اتخذ اللصوصية مهنة له.

وما جزعي أن أموت وإنني

لأعلم أن الموت شيءٌ مُوقتُ

ولكن خلفي صبيةٌ قد تركتهم

وأكبادهم من حسرةَ تتفتتُ

فإن عشت عاشوا خافضين بِغِبطةٍ

أذود الرَى عنهم وإن مِتُ مُوِّتو. [1] **(الطويل)**

فلما سمع المعتصم هذا قال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت لك الصبوة، وتركتك للصبية.

ظهر في هذا العصر نوعا آخر من الاستعطاف هو استعطاف الشاعر لغيره. ومن ذلك استعطاف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب، وكان قد أُغِيرَ عليهم فأتى بعضهم إلى أبي الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم، فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه:

تَرَفَق أيُّها المَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرِفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

فَإِنَهُمْ عَبِيْدُكَ حَيْثَ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِنَائبةٍ أَجَابوا

وَعَيْنُ المُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسوُا بِأَوَلِ مَعْشَرٍ خُطِئُوا فَتَابُوا

وَأَنْتَ حَيَاتَهُمْ غَضَبْتَ عَلَيْهُمْ وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمْ عَذَابُ

وَمَا جَهِلتَ أَيَادِيكَ البَوَادِي وَلَكِن رُبَمَا خَفَتَ العَوَابُ[2] **(الطويل)**

---

[1] – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 133.

[2] – إبن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، 19891، ص 48.

وما أورده أيضا صاحب **العقد الفريد** أن الشاعر أَبَا قابوس وهو من أهل الحيرة منقطعا إلى البرامكة، فلما أوقع الرشيد، بجعفر البرمكي صنع أبي قابوس أبياتًا وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحي يقول:

أَمِينَ اللهِ هَبْ فَضْلَ بن يَحْيَ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ

وَمَا طَلَبِي إِلَيْكَ العَفْوَ عَنْهُ وَقَدْ قَعَدَ الوُشَاةَ بِهِ وَ قَامُوا

نَذَرْتُ عَلَيَّ فِيهِ صِيَامُ شَهْرٍ فَإِنْ تَمَ الرّضَا وَجَبَ الصِيَامُ[1] **(الوافر)**

هـ- <u>في العصر الأندلسي السابق لملوك الطوائف</u>:

كثر شعر الاستعطاف في هذا العصر وخاصة خلال فترة الحجابة العامرية، ما دفع بالحكام إلى انتهاج سياسات طبعتها القسوة والتعسف والإستبداد تجاه العامة أو الخاصة (الوزراء)، وكان ممن أبدع في هذا النوع من الشعر " الحاجب المصحفي" توفي (ت372 هـ). بعد ما تم عزله من الحجابة من قبل " **المنصور بن أبي عامر**" من الحجابة سنة (367هـ / 978 م)" وأمر بالقبض عليه وصادر أمواله ولاحق أبناءه وصادر أموالهم، يقول في إحدى قصائده التي كتبها إلى الخليفة يسأله العفو يقول:

هَبْنِي أَسَأْتُ فَأَيْنَ العَفْوَ والكَرَمُ

إِذْ قَادَنِي نَحْوَكَ الإِذْعَانُ و النَدَمُ

يَا خَيْرَ مَنْ مُدَتْ الأَيْدِي إِلَيهِ أَمَا

تُرْثَي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِيْندَكَ القَلَم

بَالَغْتَ فِي السُخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ

إِنَّ المُلُوكَ إذا ما اسْتُرْحِمُوْا رَحَمُوا[1] **(البسيط)**

[1] – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 135.

ويقول أيضا:

عَفَا اللهُ عَنْكَ أَلاَ رَحْمَةً تَجُوْدَ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبْعُدَا

لِإِنْ جَلَ ذَنْبِي وَلَمْ أَعْتَمِدُهُ فَأَنْتَ أَجَلُ وَ أَعَلَى يَدَا

أَلَمْ تَرَ عَبدًا عَدا طَوْرَهُ وَمَولَى عَفَا وَ رَشيدَا هَدَى

وَمُفْسِدُ أَمَرَ تَلاَفِيْتَهُ فَعَادَ وَ أَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا

أَقْلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيْكَ وَ يَصْرِفْ عَنْكَ الرَّدَى[2] **(الطويل)**

والملاحظ أن المنصور لم يستجب لكل الشعراء الذين خاطبوه مستعطفين إياه، لذلك نرى أن شعر " **الحاجب المصحفي**" ذهب أدراج الرياح وبقي في سجنه إلى أن مات.

ويقدم لنا أيضا الشاعر " **عبد الملك الجزيري**" توفي (394 هـ) بعض النماذج الاستعطافية التي نظمها استعطافا لأبي عامر، بعدما قاده الغرور بالنفس، وظنا منه أنه صار يحتل المكانة الرفيعة ،وأن المنصور لا يستطيع الإستغناء عنه، إن صار مقربا عنده ومنادما له، وغدا كاتبه الأول ورئيس ديوان الإنشاء لديه، لكن سرعان ما عتب عليه المنصور إلى درجة الغضب، وسخط عليه ثم سجنه في المطبق بالزهراء مدة لأنه كان يزري بغيره من الكتاب[3] يقول في إحدى قصائده:

قالوا جَفَاهُ ثَلاَثًا ثمَ غَرَبَهُ فَلَيْسَ يَرْجُو حُظْوَةً أَبَدَا

جَاوَزوا وَمَا عَدَلُوا في القَوْلِ بَلْ حَكَمُوا عَلَى المَقَادِيْرِ جَهْلاً لاَ هُدَوا رَشَدًا

---

[1] – ابن عذارى: البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: لينى بروفنسال و كولان، دار الثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج2 ،ص 375. وينظر:ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1975، ج1، ص 265.

[2] – ابن عذارى: البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب، ص 268.

[3] – ينظر: ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 1979، ج 1، ص 47.

أَلَيْسَ يَوْقِدُ نَصلَ السَيْفِ ضَارِبَهُ قَبْلَ الصِقَالِ مرارًا جَمّة عَدَدا

مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ بُؤسَاهُ وَشَدّتَهَا لَمْ يَدْرَ لَذَه نَعمَاهُ ولا وَجَدَا

وَدُونَ هَذَا الْذِي قَالُوهُ أَقْضيَةٌ للهِ فِي حُكْمِهِ لَمْ يُؤْتِهَا أَحدَا

لاَ بُدَّ للقَدَرِ المقْدُورِ مَنْ أَمَدٍ يَلْقَاكَ فِيهِ عَلَى حَتْمٍ وإِنْ بَعُدَا[1] **(الكامل)**

فعفا المنصور على وزيره عبد الملك الجزيري ،وأحسن إليه وظل رئيسا لديوان الرسائل، ورد عليه ما كان قد صودر من ماله إلى أن تم سجنه مرة ثانية في عهد عبد الملك المظفر، فلم يدم طويلا إذ سرعان ما قُتِل في السجن من قبل قَومٌ من السودان دخلوا عليه في مطبقة وقتلوه سنة (394 هـ).

كذلك يقدم لنا الشاعر **أبو عبد الله الغساني** صورة من صور الاستعطاف في ظل الحجابة العامرية (366هـ – 399 هـ) عند ما اتهم في دينه فسجنه المنصور بن أبي عامر في المطبق، فكتب إليه من السجن يستعطفه يقول:

دَعَوْتُ لَمَاعِيْلَ صَبْري فَهَلْ يَسْمَعُ دَعْوَايَ المَلِيْكُ الَحَلِيْمُ

مَوْلايَ مَوْلايَ أَلاَ عَطفَةً تُذْهِبُ عَنِي بِالعَذَابِ الأَلِيمِ[2]

لكن أبياته هذه لم تشفع له عند المنصور بن أبي عامر فيرد عليه يقول:

الآَنَ يَا جَاهِلاً زَلَتْ بِكَ القَدَمُ تَبْغِي التَكَرُمَ لَمَا فَاتَكَ الكَرُمُ

فَايأَسْ مِنْ العَيْشَ إِذْ قَدْ صِرْتَ فِيْ طَبَقِ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا مَا اسْتُنْقِمُوا نَقَمُوا

نَفْسِي إِذَا سَخِطَتْ لَيْسَتْ بِرَاضِيَةٍ ولَوْ شَفَعَ فِيْكَ العَرَبُ والعَجَمُ[3] **(البسيط)**

---

[1]– امحمد بن لخضر فورار: من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم، مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، ط1، بسكرة الجزائر ،2013، ص 56.

[2] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج 1،366

[3] – المصدر نفسه :ج1، ص371

لقد نظم الشاعر السجين شعرا في الاستعطاف، وكَانَ في معظمه مؤثرا وصادقا حاول من خلاله أن يلين قلب الخليفة أو الملك واسترحامه بما أوتي من ناصية نظم الشعر في تلك الأشعار، وهذا السبب ليس مرجعه إلى ضعف في النظم أو القدرة على التعبير بل يعود إلى شدة وقسوة أولئك الحكام.

وأما **عبد الله بن عبد العزيز الملقب بالحجر اليابس** (ت 393 هـ) الذي قلده هشام المؤيد بالله مدينة طليطلة، لكن ما إن ظفر به المنصور وسجنه في المطبق سنة 385 هـ، يقول في بعض الأبيات يستعطف بها المنصور يقول:

فَرَرتُ فَلَمْ يُغْنَ الفِرارُ، وَمَنْ يَكُنْ مَعَ الله لا يعجِزْهُ في الأرْضِ هَاربُ

وَأَجْمَعَ كُلُّ النّاسِ أَنَّكَ قَاتِلِيْ وَرُبَّتَ ظنَّ رُبَّهُ فِيهِ كَاذِبُ

وَمَا هُوَ إلاَّ الانْتقَامُ فَتَشْتَفِي وَتَرْكُكَ مِنْهُ وَاجِبًا، لَكَ وَاجِبُ

وَ إلاَّ فَعَفْوُ يَرْتَضِي اللهُ فِعْلُهُ وَيَجْزِيْكَ مِنْهُ فَوْقَ مَا أَنْتَ طَالِبُ[1]

ويقول أيضا يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور:

أَلاَ أَيُّهَا الرَاكبُ المُرتَجَى وَأكْرَمُ مَنْ كَانَ أَوْ يَكُونْ

دَعَوْتُكَ دَعوْةَ مُسْتَصْرِخٍ أَحَاطَتْ بِهِ وَ أَثْخَنَتْهُ المُنُونْ

فَإِنْ لَمْ تُغْثنِي فَمَنْ ذَا الذي يَلُوْذُ بِهِ الخَائِفُ المُسْتَكِيْنَ ؟

فَقُلْ لِي: لَعَامِنْ عثَارته أُنَادْيكَ والمَوْتُ لِيْ مُسْتَبِيْنْ

وَ إِنْ جَلَ ذَنْبِي فَأَنْتَ الجَلِيْلُ وَهَلْ لَكَ فِيْمَنْ عَلَيْهَا قرينْ[2] **(الطويل)**

---

[1]–امحمد بن لخضر فورار: من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم،ص 51

[2] –المرجع نفسه: ص52.

وهكذا ظل عبد الله في السجن إلى أن مات المنصور؛ فأطلق عبد الملك المظفر سراحه وقلده الوزارة، إلى أن توفي سنة 393 هـ.

الفصل الأول:

*شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف أقسامه وأبرز شعراءه.

1- شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف.

2-أقسامه وأبرز شعراءه.

I- شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف (422 هـ- 484هـ).

كانت سوء الوضع سياسيا واجتماعيا سببا مباشرا في ازدياد شعر الاستعطاف زيادة لافتة للنظر في هذا العصر، ذلك أن أول ما يلفت انتباهنا هو أننا إزاء مجتمع مليء بالمتناقضات، تحكمه أهواء وتشده نزوات وتسيره الفتن والاضطرابات، وفي ظل هذه التناقضات التي حفلت بها الحقبة مدار الدراسة، وفي ظل نفسية الأندلسي القلقة إزاء الفساد الاجتماعي والانهيار الأخلاقي، علا صوت بعض الشعراء ينتقدون هذه السياسة الظالمة، الأمر الذي دفع بالحكام إلى انتهاج سياسة طبعتها القسوة والتعسف والاستبداد تجاه العامة – الشعراء خاصة –نتيجة لما اقترفوه من ذنب متعلقا بمعصية تستوجب عقابا، أو نتيجة لسلوكهم السياسي المعادي للحكام انتقادا لسياستهم وتصرفاتهم، فكان ما يعرف بـ – الهجاء السياسي– الذي طالما كان سببا في سجن العديد من الشعراء عقابا لهم، ما جعلهم يحاولون بالكلمة إشارة عطف وشفقة الحاكم.[1]

نظم الشعراء المستعطفون أشعارهم الاستعطافية في مجالات ثلاثة ولم تقتصر على الحاكم فقط، بل تعداه إلى المحبوبة التي كان لها نصيب أوفر من الأشعار من بعد ما قطعت أواصر المحبة بينها وبين محبها، كما كان للولد نصيبا أوفر من هذه الأشعار، التي نظمها لابن متلمسا عطف أبيه وصفحة. [2]

وبما أنني سأقتصر في هذا البحث على شعر الاستعطاف المرتبط بعض الشيء بالسياسة وأبعادها، سنتعرف في دراستنا هذه على بعض الشعراء الذين أبدعوا في هذا المجال، وكيف عبروا عن هذا الاتجاه في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف خاصة.

---

[1] – ينظر: شلبي اسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار نهضة مصر للنشر، ط1، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 491- 492.

[2] – ينظر: ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن، أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ص 81.

I- استعطاف الحاكم:

II- أقسامه وأبرز شعراءه

كان للحاكم في عصر ملوك الطوائف الحظ الأوفر من الأشعار الاستعطافية حيث كان يتخذ أشكالا متعددة من العقوبات تجاه المسيء سواء بالقتل أو السجن، مما أدى بالشعر إلى طلب العفو والرحمة من العقوبة الواقع فيها، ومن أشهر الذين استعطفوا الحاكم في هذا العصر نذكر:

1/ ابن زيدون:

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي، وزير وكاتب وشاعر، من أهل قرطبة ولد سنة (394 هـ)، كان منقطعا إلى الوزير " أبا الحزم بن جهور"[1] الذي تغير عليه وحسبه بعدما منحه لقب " ذي الوزارتين" وهو لقب للوزير الذي يعمل مع الملك في تدبير الملك، وقد اختلفت مواليه من الاستيلاء على عقاراتهم ومنهم من يرى أن سبب اعتقاله هو هجاءوه المدقع للوزير " ابن عبدوس" الذي زاحمه في حب ولادة . لذلك نجد ابن زيدون من الشعراء الذين قالوا في شعر الاستعطاف – الحاكم خاصة – وذلك لما عاناه من غربة وحنين في السجن[2]

استعطف الشاعر ابن زيدون " أبا الحزم بن جهور" لإطلاق سراحه وهذا ما نجده متضمنا في بعض أبياته يقول:

لَكَ الشَفَاعَةُ لا تثنى أَعْنَتُهَا دُونَ القُبُولِ بمَقْبُولٍ مِنَ العُذْرِ

---

[1] – ابن جهور: أبي الحزم بن جهور ولد عام (364 هـ) ولي الوزارة أيام بني عامر، اشتغل بقرطبة إلى أن توفي سنة 435 هـ.

[2] – ابن زيدون: الديوان: تحقيق: كامل الكيلاني وعبد الرحمان خليفة، دار المعارف، ط1، القاهرة، مصر، 1932، ص 12.

فَأَشْفَع أَكُنْ مِثْلَ مَمْطُورٍ بِبَلْدَتِهِ خذْلانٌ بالْوَطَنِ المَأْلُوفِ والوَطَرِ

وَالبَسْ مِنَ النِعْمَةِ الخضْرَاء يَكَتَهَا ظلاً حَوَمًا عَلَى الآفاتِ والعـــبَرَ [1]

(البسيط).

ويصور لنا الشاعر في موضع آخر من أشعاره الاستعطافية حالة بعدما وشى به بعض الحاسدين إلى أبي الحزم بن جهور بعدما اعترف الشاعر فيما صدر منه من مديح وإدعائه أن كل ما قله فيه لا يعبر عن حقيقة يقول:

وَإِنِي لتنهَاي نَهَايَ عَنْ الشـــــيء أَشَادَ بِهَا الوَاشِي ويَعْقِلُنَي عَقْلـــــي

أأنكتُب فيك المدْحَ مِنْ بَعدِ قُـــوةٍ فَلاَ أَقْتَدَي إلا بِنَاقِضَة الغَـــــزْلِ

وَمَا كُنْتُ بالجهُدِي إلى السؤدِدِ الخنا ولا بالمسيء القَوْل في الحَسَنُ الفِعْلِ

وَمَا لِي لا أُثنِي بالآء مُنـــــــعِم إذَا الرَوْضُ أثنَى بِالسمِ عَلى الطَـــلِ

هِيَ النَعْلُ زَلَتْ بِي فَهَلْ أَنْتَ مُكَذّبٌ لِقيلِ الأعَادي إنّهَا زَلَةُ الحِســـــلِ[2]

(الطويل)

وينهي الشاعر قصيدته طامعا في عفو ابي الحزم وأن تعود العلاقة بينهما كما كانت من قبل يقول:

ألاَ إِنَ ظَنِيَ بَيْنَ فَعْلِيْكَ واقِـــــفٌ وُقُوفَ الهوَى بَيْنَ القَطِيْعَةِ وَ الوَصْلِ

فَإِنْ ثُمْنَ لِي مِنْكَ الأماني فَشِيْمَـــةٌ لِذَاكَ الفَعَال القَصدِ والخُلُق الرّسْـــلِ

وَغِلاَ جَنَيتُ الأُنْسَ مِنْ وُحْشَةِ النوَى وَهَوَل السُرى بَيْنَ المَطِيَةِ والرّحـــــلِ

وَأَيْنَ جَوَابٌ مِنْكَ تَرْضى بِهِ العـــُلا إذا سَأَلْتَنِي بَعْدُ أَلْسِنَةُ الحَـــــفْـــلِ [3]

(الطويل).

---

[1] – المصدرالسابق: ص 95.

[2] – المصدر نفسه: ص 162.

[3] – المصدر نفسه: 163.

ومهما يكن سبب سجن ابن زيدون، فقد لعب حاسدوه دور كبيرا، في ايفار صدر أبي الحزم عليه، يقول في بعض الأبيات واصفا إياها ومعترفا لابن جهور أنه لا ذنب له يقول:

كَانَ الوُشَاةُ وَقَدْ مُنَيْنُ بإِفْكَهِم أَسْبَاطَ يَعْقُوبَ وَكُنْتُ الذّيبَا[1]

(الكامل).

ويقول:

وَمِثْلِي قَدْ تَهْفُوا بِهِ غَشْوَةُ الـــــصبا وَمِثْلِكَ مَنْ يَعْفوا وَمَالَكِ من مِثْلي

هِي النَعْلُ زَلَتْ بي فَهَلْ أَنْتَ مُكَذّبٌ لِقِيْل الأَعَادِي أَنّهَا زَلّة الحِسْلِ[2]

(الطويل)

لكن ما أنفك ابن زيدون يستعطف ابن جهور حتى ذهبت تلك القصائد مهب الريح وباءت بالفشل، ما أدى بالشاعر أن يلجأ إلى طريقة أخرى وهي مخاطبة الصديق لعله يتوسط له وشيفع له عنده يقول في قصيدة خاطب بها صديقه " أبي حفص بن برد".

لاَيَكُنْ عَهـدُكَ وِرْدًا إِنّ عَهْدِي لَكَ آسُ

وَأَدِرْ ذِكْرَى كَأْسًـــا ما امتطت كَفْكَ كَاسُ

واغْتَنِمْ صَفْوَ الليالي إِنّمَا العَيْشُ اخْتِلاَسُ

وَعَسىَ أَنْ يَسْمَحَ الدّهـ رُ فَقَدْ طَالَ الشَمّاسُ[3]

(مجزوء الرمل).

ويخاطبه بقصدة أخرى يقول فيها:

---

[1] – المصدر السابق: ص 133.

[2] –المصدر نفسه: ص 162.

[3] – المصدر نفسه: ص 83.

الهوَى في طُلُوعِ تِلْكَ النُجُــومِ والمنَى في هُبوبِ ذَاكَ النَسِيم

أَيَهذَا الوَزِيْرُ هَا أَنَا أَشْكـــــُو والعَصَا بَدْءُ قَرْعِهَا لِلْحَـــلِيْم

للشَفْيْعِ الثَنَاءُ، والحَمْدُ في صَوْ بِ الحَيَا لْلرياحِ لا للْغيُــوُمِ

وَزَعِيْمٌ لِيْ بِأَنْ يُذيَل لِي الصِعَا بَ مَثَارِبي إلى الهُمَمِ الزَعيمِ[1]

(الخفيف)

لكن نلاحظ أن معظم القصائد باءت بالفشل في نهاية المطاف لأن الأصدقاء قد تنكسروا له وخانوا عهده يقول في بعض الأبيات التي يصف الحالة التي آلت لها علاقة مع أصدقائه يقول:

أَنَا حَيْرَانٌ ولـــــــلأَمْ رِ وُضَوحٌ والتَبَـــاسُ

مَا تَرى في مَعْشَرٍ حَا لُوا عَنْ العَهْدِ وخَاسُوا

وَ رَأَوخِي سَامـــــــرِيًا يَتَقَي مِنْهُ المِســاسُ[2]

(مجزوء الرمل).

وهكذا لم يبق لابن زيدون من وسيلة بعد ما جاءت قصائده التي يستعطف بها ابن جهور بالفشل إلا أن يلجأ إلى المدح كونه يكون الوسيلة الأخيرة التي تكون سببا في نيل العفو يقول في إحدى قصائده التي يمدح بها آل جهور يقول:

لَولاَ بَنَوُ جَهُورِ مَا أَشْرَقَتِ هِمَمِــي كَمَثْلِ بِيْضِ اللَيَالِي دُوْنَهَا الــدّرعُ

هُمْ المُلُوكُ مُلوكُ الأَرضِ دُوْنِـــهِمُ غَيْدُ السَوَالِفِ في أَجْيَادِهَا تَلَـــعُ

---

[1] –المصدر السابق:ص 125.

[2] – المصدر نفسه:ص 125.

قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ في صَفِ سُؤدَدِهِمْ لاَ يَأْخُذُ الوَصْفُ إلاَ بَعْضِ مَا يَدَعُ[1]

(البسيط).

ثم يأتي الشاعر في بعض القصائد بتصوير ممدوحه بمختلف الخصال التي يميز بها يقول في وصفه بالكرم:

هَوَ الكَرَيْمُ الذِي سَنّ الكِرَامُ لَهُ زُهرَ المَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهْ البِدَعُ

مِنْ عَزّة أَلْهَمَتْهُ فِي تَعَاقُبِهَا إنْ المَكَارِمَ إيْصاءٌ بِهَا شَرِعُ[2]

(البسيط).

وأشار في موضع آخر إلى الشاعر وعلاقته بتقوى الله وطاعته

يقول: مَلِكٌ أَطَاعَ الله مِنْهُ موفقٌ مَازَالَ أَوَبًا إِلَيْهِ مُنِـــيْنًا

يَأْتِي رِضاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا وَيَكُونُ فيه مُعَاقِبًا وَمُثِيبًا[3]

(الكامل).

وخلاصة القول الملاحظ أن معظم الأشعار التي مدح بها ابن زيدون ابن جهور لمن تكن صادقة فالشاعر يفتقر لصدق العاطفة، وبالتالي كان المدح الخالي من العاطفة الصادقة يصدر عن الشاعر إرضاء لمن يمدحه كي يعطف عليه وحسب، وكان هو تحقق بعد شفاعة ابن الحزم له.

---

[1] – المصدر السابق: ص 171- 172.

[2] – المصدر نفسه: ص 172.

[3] – المصدر نفسه: ص 132.

2/ ابن اللبانة الداني (ت 507 هـ).

هو أبو محمد بن عيسى اللخمي الداني ابن اللبانة، اشتهر بالأدب والشعر، واعتمد على التكسب بالشعر عند ما حل على محمد بن معن بن صمادح، لكن حالة تجربته بالفشل، وما جعله يتابع مسيرته يطوف على ملوكه الطوائف مادحا تارة ومسترفدا تارة أخرى.

– كثرت الأشعار الاستعطافية للشاعر في هذه المرحلة، فقد اضطر للاستعطاف عند ما حل بحور المتوكل ملك بطليموس الذي كان كما قال **ابن الخطيب** (ت 776) « **كان المتوكل ملكا عالي القدر، مشهورا الفصل، مثلا في الجلالة والسرور، من أهل الرأي والحزم والبلاغة**»[1] وأما **المراكشي** (ت 764 هـ) الذي تأتي له أن يقول:«**وكان لابن المظفر المتوكل قدمٌ راسخة في صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة**».[2]

– وقد بقي ابن اللبانة في جوار المتوكل متنعما مدة من الزمن، وهذا دليل على مدى المحبة المتبادلة بينهما، لكن سرعان ماثارت حفيظة حساد الشاعر واعداد ليفسدوا تلك العلاقة، وتم لهم هذا وفر ابن اللبانة وهام في ربوع الأرض، وأدى به إستجابة للقيل والقال يقول:

ثَنَاكَ عَنِ القُبُولِ عَلَيّ وَاشِ وَلَكِنْ عَنْ هِبَاتِكَ مَثْنَاكَا

وأعْجَبُ كَيْفَ حَالَتْ مِنْكَ حَالِي وَلَمْ تَدْرِ السآمةُ مَنْ حَلاَكَا[3]

---

[1] – ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمي بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956، ص 185.

[2] – عبد الواحد المراكشي: المجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1949، ص 74.

[3] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر، ط2، بغداد، العراق، 2008، ص 106.

(الوافر).

ويقدم ابن اللبانة في موضع أخر بع الأبيات التي يستعطف بها المتوكل ويعاقبه بسبب تغيره عنه يقول:

بِنَا بِيدي حُسَامٌ مِنْ رِضَاكَ فَوَافَقَتْنِي النَوائبُ عَنْ ذَاكَا

وَمَا ذَنَبُ الفِرَاقِ عَلى مُحِبُ حَوِيْتْ وِدَادُهُ وَحَوىَ قِلاَكَا

تَجَوَزَ وِدِي فِيْكَ كُلّ حـــدّ وَلَكِنْ التَجَاوزَ مَا أَطْبَاكَا

وَلَو تَجَاوَزَتْنِي قَدْرَ اعْتِقَادي لَنِلْتُ بِكَ المَجَرّةَ والسَمَاكَا[1]

(الوافر)

ويعود الشاعر مرة أخرى ليعترف بالذنب الذي أرتكبه، والذي يعود إلى التجاهر بالاستهتار والمبالغة في هتك الأعراض، حتى أصبح يشار إليه بالبنان، وقد اضطر شاعرنا إلى الاعتراف والاعتذار إلى المتوكل، بأنه لا يستحق هذا الجفاء القاسي إذا ما قورن ماضيه بحاضره في معاملته هذا الأمير، وبالتالي يحق لهذا الأخير أن يغفر له فيخاطبه قائلا:

وَإِنْ تَكُ مَرّةً عَثَرتْ جِيَـــادي فَمَا قَدَمتُ مِنَ سَبْقِ كَفَاكَا

وَلَوْ كُلّ السِهَامِ أَصَابَ قَصدِي بِمَا كِلْنَا إِلَى الأَقْدارِ ذَاكَا[2]

(الوافر).

– وهكذا يبدوا أن الشاعر لم ينل عفو المتوكل، ول يعده إلى كنفه، فواصل الشاعر هربه حتى حل بجوار المعتمد ابن عياد في قرطبة وقد كان هذا البلاط الذي كان شاعرنا يريد أن يقتحمه مدركا أنه بصدد عملية مصيرية تتطلب منه صبرا وتأنيا في تصرفاته.

---

[1] –المصدر السابق: الديوان، ص 105، 106.

[2] – المصدر نفسه: ص 107.

قلت أشعار ابن اللبانة في المعتمد وهذا ما يلاحظه **المراكشي** يقول:« **أن ابن اللبانة لم يفد على المعتمد إلا آخر مدته فلهذا قل شعره الذي يمدحه به**»[1].

وبعد انقضاء دولة بني عباد وفق الشاعر أمله المرجو، قصد سيورقة فدخلها في عهد مبشر بن سليمان ناصر الدولة، لعله يجد في مثواه الجديد ما يسليه عما مضى، وتوالت الأيام على هذا الحال وشاعرنا متنعم في رحاب حاميه الجديد، ولكن هذه الأيام المتوالية كانت تحمل في طياتها ما حملته أيامه في بطليموس، من مضاعفة الأعداء الذين وجدوا السبيل للوشاية به والانتقام منه وهذ ما تم لهم فعلا وهو ما أشار إليه **ابن خاقان** (528 هـ) « **وسُعيَ به إلى ناصر الدولة وبغي ونُبِذَ حق نباهته وألغِي، فلم يرع انقطاعه، ولا جوزي إحسانه، ولا إبعاده، وهُجِرَ هَجْرَ الحرب وأقام مقام الحائر المضطرب**»[2]

فكان بعلم شاعرنا أنه في خطر بعد ما ساء فيه الفيل والقال وهو معرض لعقاب شديد، فلم يفكر إلا في النحاة بنفسه، فارتأى في مرحلة أولى أن يستأذن ناصر الدولة حتى يسمح له بالانصراف محملا الأعداء المحيطين به المسؤولية الكاملة في تغير الأوضاع لدفعهم الأمير إلى هذا الموقف الأليم نحوه يقول مخاطبا:

عَسَى رَأْفَةً فِي سَرَاحٍ كَرِيْمٍ أَبُلُ بِبَرْدِ نَدَاهُ الغَلِيْـــــلاَ

لَقَدْ أَوْقَدُوا لِي نِيْرَانَهُمْ فَصَيَرَنِي الله فِيْهَا الخَلِيْلاَ

أَفِرُ بِنَفْسِي وَإِنْ أَصبْحَتْ مَيُوْرَقَةُ مِصْرا وَجَدْوَاك نِيلاَ[3]

(المتقارب).

---

[1] – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 80.

[2] – ابن خاقان: قلائد العقيان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د ط)، تونس، 1990، ص 247- 248.

[3] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 111.

وأخيرا يلجأ الشاعر إلى القسم معتذرا بأنه بريء من كل ما اتهم به يقول:

يَمِيْنًا لَكُمْ هو أَزكَى يَمِيْنٌ لأَلْتَمِسُ العُذْرَ مِنْكُمْ جَمِيْلاً

سَعَوا لِي عِنْدَكَ في عَثْرِي وَلاَ عِلْمَ لِي فَكَرِهْتُ المقِيلاَ[1]

(المتقارب).

وعندما أخفق الشاعر في إستعطاف ناصر الدولة غادر ميورقة وحط رحاله ببجاية عاصمة الدولة الحمادية، والتحق بأميرها باديس المنصور ومدحه، لكن ومدحه، لكن كان صمعه الوحيد أن يولي على عقبيه آملا أن يستعد مكانته بميورقة، فكان لزاما عليه أن يتيقن من عفو ناصر الدولة ورضاه فبذل كل جهوده في هذا السبيل ولهذا أشار ابن خاقان قائلا « وجعل يستنزله ويستعطفه ويداريه من هناك ويستلطفه ليمن عليه ويعيده»[2] ومن بديع ذلك قوله:

نَسِيْمُكَ حتَامٌ لاَ يَنْبـــــَري وَطَيْفُكَ حَتَامٌ لا يَعْتَري

أُعِيْذُكَ مِنْ عَرَضٍ أَنْ يَكُوْنَ وَأَنْتَ الذي كُنْتَ مِنْ جَوْهَرِ

أَتَذْكُرُ أَيَامنَا بالْحِمَـــــــى وَأَيَامنَا بِذَوِي الأَعْصرُ

أَلاَ رَأْفَةٌ مِنْ وَفِيّ صَفِـــيّ أَلاَ عَطْفَةٌ مِنْ تسنَى سَرِي[3]

(المتقارب).

- حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يستعمل قلب الناصر ويحاول أن يستلطفه ليمين بإعادته وصرفه إلى عادته، وذلك بتذكيره بتلك الأيام التي جمعتهما، لكن يبدوا أن

---

[1] – المصدر السابق: الديوان، ص 111.

[2] – ابن خاقان: قلائد العقيان، ص 247.

[3] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 71.

3/ ابن عمار:

هو أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي، ولد عام (422 هـ)، تقلد مكانة عالية في أيام المعتمد " بذي الوزارتين" فقد اتفقا كلاهما في (الميول والأهواء وفنون الشعر والأدب والملاهي وأنواع السرور). وكان المعتضد بالله حاكم إشبيلية أنذاك وما تميز به من الدهاء والقسوة غير راضي عن العلاقة التي تجمع ابنه مع الشاعر ابن عمار[1]

لقد كثرت أشعار الاستعطاف في شعر ابن عمار، خاصة بعدما (خَوَفَهُ المعتضد ففر إلى سرقسطة) وأقام فيها إقامة تعيسة، ما جعل الشاعر ينشئ بعض القصائد الاستعطافية إلى " المعتضد" راجيا منه أن تعود أيام الوصال ؛حيث صور نفسه وهو يعيش حياة الذليل الخاضع يقول:

أَنَا العَبْدُ في ذُلِ الخَضُوعِ لَوْ أنني أَرَى البْدرَ تَاجِي والنُجُومَ خَواتِميْ

وَإِنّي إنْ أَنْصَفْتُ بَعْدَكَ خـــادِمُ لِدَهْري، وَكَانَ الدّهْرُ عِنْدَكَ خَادِمي

لَعلَ الذّي أَقْذى بِشَرحَةِ رَاجـــلِ عُيوبًا سَيَجلُوها بِفَرْحَةِ قَـــــادِمِ

فَتَرْجَعُ أَيَامٌ مَضَتْ وَكَأَنّـــــهَا إذا امْتَثَلَتْهَا النَفْسُ لَذّةُ حَالـــــمِ[2]

(الطويل).

لكن سرعان ما تشاء الأقدار أن يتوفي " المعتضد" ويخلفه ابنه " المعتمد" الذي سرعان ما أعاد ابن عمار من المنفى وجعله ملازما له.

غير أن ابن عمار كان يجهل ما ينتظره؛ بعدما أراد المعتمد ضم مرسية ورأى أن يستعين بصاحب برشلونة (الكونت ريموند) وعندما فشل ابن عمار في عقد المفاوضات

---

[1] – ينظر:محمد جاسر:الاستعطاف في الشعر الأندلسي"عصر ملوك الطوائف"،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي،إشراف:وائل أبو صلاح،جامعة النجاح،نابلس،فلسطين،2010،ص50.

[2] – ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1،ص 375- 376.

وتمكن الكونت من إلقاء القبض على " الرشيد" بن المعتمد، عندها تارة حفيظة الحاكم وغضب على ابن عمار غضبا شديدا ما جعل الشاعر يقدم العديد من الأشعار الاستعطافية التي رأى من خلالها أنه يستطيع إمالة قلب المعتمد والطمع في عفوه[1].

يقول ابن عمار وهو في السجن مستعطفا المعتمد:

سَجَايَاكَ إِنْ عَفَيْتَ أَندى وأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجَلَى وَأَوْضَحُ

وإِنْ كَانَ بَيْنَ الخُطَتَيْن مَزِيـــةٌ فَأَنْتَ إِلَى الأَدْنَى مِنْ الله أَجْنَـحُ

أَقِلْنِي لِمَا بَيْني وبَيْنَكَ من رَضى لَهُ نَحْوَ رُوْحِ الله بَابٌ مُفْتـــــحُ

واعْفُ عَلَى أَثَارِ جُرْمٍ سَلَكَتْـهَا بِهِبَةٍ مِنْكَ ورحَمى تَمَحُور وَتصْفَحُ[2]

(الطويل).

صور لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات ما قع في قلبه من آهات ويصبح معترفا بذنبه طالبا العفو.

ثم يأتي الشاعر للحديث عن الوشاة الحاسدين الذين يفسدون العلاقات بينهما يقول:

حَنَانيكَ في أَخْذِي بِرَأيك، لاَ تُطِعْ وُشَاتي وَلَوْ أَثنوا عَلَيّ وَأَفْصِحُوا

وإِنْ رَجَائي أَنْ عِنـــدَكَ غَيْرَ مَا يَخُضُ عَدُوِي اليَوْمَ فيه ويَمرَحُ[3]

(الطويل)

---

[1] – ابن الأبار: الحلة السيراء: تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1985، ج2، ص 135-138.

[2] – المصدر نفسه: ج2، ص 153.

[3] – المصدر نفسه:ج2 ،ص 153.

ويعود الشاعر مرة أخرى إلى استعطاف المعتمد ويسعى إلى كسب وروده ورضاه يقول:

أَهَابُكَ لِلْحَقِ الذي لَكَ في دَمِي وَأَرْجُوكَ للحِب الذي في قَلْبـــــــي

وَمَا جِئْتُ شيئا فيه يَعْني لطالبٍ يُضافُ به رأيٌ إلى العَجْزِ والعَجَبِ[1]

(الطويل)

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعدما ضاقت الأرض بشاعرنا وأصبح هائما في ظروب الأرض، خاصة بعدما حل به من ذُل ومهانة من طرف أبناء المعتمد بعدما صدر منه من إساءة للمعتمد وزوجته وأولاده وأباه، ما أدى باتساع الخرق بين الصديقين وفسدت العلاقة بينهما فسادا لا يرجى صلاحه، فأتاه العقاب من حيث لا يحتسب خاصة بعدما موقعه شعورة.

وبعد كل هذه لمحاولات الفاشلة لشاعرنا في استعطاف المعتمد، لم يبق له إلا أن يتخذ وسيطا ليكون له شفيعا له عنده، فقد كتب الشاعر ليزيد بن المعتمد (الراضي) راجيا منه التشفع له عند والده يقول:

يَاأَيُهَا الرَاضِي وَإِنْ لَمْ تَلْقَنِي مِنْ صَفْحَةِ الرَاضِي بِمَا أَدْرِيهِ

سَهِلْ عَلَى يَدَيْكَ الكَرِيْمَةِ أَحْرُفًا فِيْمَنْ أَسَرْتَ فَتَنْشِنِي تَفْدْيِهِ[2]

(البسيط).

[1] – المصدر السابق، ص 136، وينظر: ابن بسام: الذخيرة، ق 2، ج 1، ص 407.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء: ج2، ص 150.

وهكذا توالت إستعطافات ابن عمار لأبناء المعتمد، لكن للأسف لم تجد لها أذن مصغية، وظل الشاعر سجينا ينتظر مقابلة المعتمد بعد ما عاناه من ويلات الذل والمسغبة، طامعا في عفوه، لكن هذا لم يتحقق م جعل الشاعر يربط حبل نجاته بالله عز وجل يقول:

يَا رَبُ بَشِرْ بِرَحْمَةِ وَحَيًا يُؤْنِسُ مِنْ بَرْقِهِ وَ رَعْدِهِ[1]

(البسيط).

وبعد كل هذا كاد أن يتحقق عفو المعتمد لشاعرنا لولا هفوة اقترفها والتي عجلت في موته.

وتسوقفنا بعض الأبيات لبعض الشعراء الجو الون الذين ينتقلون من بلدة إلى أخرى طمعا في جع المال، ومنهم ابن أزرق[2] الذي كتب إلى ابن رشيق ملك مُرْسيَةً، بعدما لتم ترحيله إلى بلنسية بجانب ابن عبد العزيز مستعطفا إياه وطالبا منه العودة للعيش بكنفيه يقول:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُوْدُ إلى الَذِي عَهَدْتُ مِنَ النَعّمَى لَدَيْكُمْ بِلاَ جُهْـــدِ

فَوَاللهِ مُذْ فَارِقْتُكُمْ مَا تَخَلَصـــــتْ مِنَ الدّهْرِ عِنْدي سَاعَةُ دُوْنَ مَا كَدّ

فَمُنُوا بِإِذنٍ كَي أَطِيْرَ إِلَيْكـــــمُ فَلاَ عَارَ في شَوْقٍ إلى المَالِ والمَجْدِ[3]

(الطويل)

ووقف بعض أعدائه على هذه الأبيات، فوشى بها إلى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره، لكن تحقق عكس ذلك حيث أخذ في الإحسان إليه حتى بر يمينه.

---

[1] – المصدر السابق: ج2، ص 151.

[2] – ابن عبد ربه :العقد الفريد،ص65.

[3] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص 573.

وأما أبو الحسن البغدادي الفُكَيك* الذي قال عنه ابن بسام « **كان حلو الجواب مليح التنذر، يُضْحِك من حَضَرْ**»[1] الذي زج به المعتمد بن عباد في السجن بعد ما اتهم بالإلحاد والزندقة، فأخذ يرسل له الأشعار الاستعطافية راجيا يقول:

أَسْأَلُ اللهَ عَفْوَكَ فَلَئِنْ سَا ء مَقَالِي لَقَدْ تَعْفُ القُلُوْبُ

قَدْ يَنَالُ الفَتَى الصَغَائِرَ طَرْفًا لاَ سِوَاهَا وَ لِلذُنُوْبِ ذُنُوْبُ

وَأَخُو الشّعْرِ لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ وَسَوَاءٌ صَدُوْقِهِ والكُذُوبُ[2]

(مجزوء الخفيف).

ويقول:

يَاآلَ عَبَادٍ أَلاَ عَطْفَـــــــــةٌ فَالْدّهَرُ من بَعْدَكُمْ مُظْلَمُ

مَنْ ذَا الذِي يُرْجَى لِنَيْلِ العُلاَ وَمَنْ إلَيْهِ يَفِدُ المُعْدَمُ

مَا أَنْكَرَ الدّهْرُ سِوَى أنّـــهُ بِجُوْدِكُمْ فِي فِعْلِهِ يُرْغَمُ[3]

(البسيط).

ويبالغ الشاعر في مدح المعتمد، معتمدا على الاستدلال بمعاني القرآن الكريم، وكأنه يريد أن يلفت نظر المعتمد بأنه ما يزال متمسكا بدينه بالرغم من أنه رمي بالزندقة والإلحاد.

* الفُكَيك: شاعر وقد من المشرق للأندلس، عاش بكنف المعتمد بن عباد، ينظر: نفح الطيب للمقري، ج3، ص 119.

[1] _

[2] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص 475.

[3] – المصدر نفسه: ج 3، ص 429.

2/ إستعطاف الوالد:

لقد نال استعطاف الوالد النصيب القليل من الأشعار الاستعطافية مقارنة باستعطاف الحاكم، وقد كان الشاعر في هذا النوع من الشعر يعتمد على مبدأ التصريح دون الاستعانة بوسيط أو شفيع، وأبرز من نظم في هذا النوع من الشعر نجد المعتمد بن عباد الذي استعطف والده المعتضد الذي كان كما أشار إليه محمد شهاب « كان شديد البطش، اتسمت فترة حكمه بالحروب مع بقية الملوك حبا في التوسع والسيطرة وقد استطاع القضاء على خصومه وتثبيت أركان دولته»[1].

استعطف المعتمد أباه بعدما فشل فيما كلفه به- محاربة باديس ابن حبوس- أمير مالقة[2] هذا الأخر الذي استطاع بجيشه أن يفتك بجيش المعتمد ويفر المعتمد جارا معه ذيول الخزي والعار، وبعدما سمع المعتمد ن أباه قد أهدر دمه نتيجة لما أصابه من اللامبالاة والخذلان، الأمر الذي جعله يفكر في كيفية الخلاص، فكان أول ما خطر على باله أن يكتب لأبيه قصيدة يستعطفه ويطلب الغفران منه يقول:

سَكَنَ فُؤَادَكَ لاَ تَذْهَبْ بِكَ الفِكْرُ مَاذَا يُعْيدُ عَلَيْكَ الهَمُ والحَذَرُ

فَإنْ يَكُنْ قَدَرٌ قَدْ عَاقَ مِنْ وَطيرٍ فَلاَ مَرَدَ لِمَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ

وَإِنْ تَكُنْ خَيْبَةٌ فِي الدَهْرِ وَاحِدَةٌ فَكَمْ عَزَوتَ وَمِنْ أَشْيَاعَكَ الظُفْرُ[3]

(البسيط).

---

[1] – محمد شهاب العاني: الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1، عمان، الأردن، 2010، ص 18.

[2] – مالقة: مدينة أندلسية ساحلية، تقع بين المرية والجزيرة الخضراء.

[3] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 56.

ويلجأ الشاعر إلى غرض المدح في استعطاف والده كغيره من الشعراء ليكون عرضا ثانويا يساعده على تحقيق هدفه المتمثل في كسب عطفه ورضاه يقول في بعض الأبيات وقد شبه والده مماثلا شجاعا كالليث الباسل وأن الليالي سيخلد له انتصاراته.

يَا ضَيغِمًا يَقْتُلُ الأَقْرانُ مُفتَرِسًا لاَ تُهَوِنَنَي فَإِنِي النَابُ والظُفْرُ

كَمْ وَقْعَةٍ لَكَ في الأَعْدَاءِ وَاضِحَةً تَفْنَى اللَيَالِي ولاَ تَفْنَى بِهَا الخَبَرُ

سَارَتْ بِهَا العَيْسُ في الآفَاقِ فاانْتَشَرَتْ فَلَيْسَ في كُل حَيّ غَيْرَهَا سَمَرُ [1]

(البسيط).

اعتمد الشاعر على كثير من الأساليب لينال عطف والده، لذلك يلجأ في بعض قصائده الاستعطافية إلى تصوير حالته النفسية وما آلت إليه من سوء محاولا استشارة عاطفة والده عند ما يصف سوء حاله وضنك عيشه بعدما حلت به تلك المصيبة وقد اضفرت ذممه ونُذِرَ دَمَهُ يقول:

لَقَدْ أَخْلَفَتْنِي صُرُوفُ أَنْتَ تَعْلَمُهَا وَ قَالَ مَوْرِدِهَا: مَالِي بِهَا صدْرُ

فَالنَفْسُ جَازِعَةَ والعَيْنُ دَامِعَةٍ وَ الصَوْتُ مُنْخَفِضٌ والطَرْفُ مُنْكَسِرُ

وَزَادَ هَمِي وَمَا بالجِيْمِ مِنْ سَقَمٍ وَ شِبْتُ رَأْسًا وَلَمْ يَبْلُغَنِي الكِبَرُ [2]

(البسيط).

ويقول:

مَوْلاَيَ أَشْكُو إِلَيْكَ دَاءًا أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيحًا

إِنْ لَمْ تُوَجِه رِضَاكَ عَنِي فلَسْتُ أَدْرِي لَهُ مرِيحًا

---

[1] – المصدر السابق،ج2، ص 57.

[2] – المصدر نفسه،ج2، ص 58.

وَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَلاَ يَضِيقُ عَنْ حَمْلِهَا صَدْرَكَ الفَسِيْحَا[1]

(البسيط).

ويختم الشاعر قصيدته بالتماس العفو من والده، وأنه إن نال هذا العفو فسوف يطيب عيشه وينسى همومه يقول:

رِضَاكَ رَاحَةَ نَفْسِي لاَ فُجِعَتُ بِهِ فَهُوَ العَتَادُ الذِي للدّهْرِ أَدخِرُ

وَغِنَمَت أَنَا سَاعٍ في رِضَاكَ فإنْ أَخْفَقْتُ فِيْهِ فَلاَ يُفْسَحُ لِيْ العُمْرُ[2]

(البسيط).

وبعد أن انتهى من كتابه قصدته أرسلها إلى والده وبقي ينتظر أن يصله عفو ورضى والده وكان هو ما تحقق.

ومن الأشعار الاستعطافية الموجهة إلى الوالد ما أنشده الراضي ابن المعتمد بن عباد، الذي كان من أهل العلم والأدب، بعيدا عن التربية العسكرية، إلى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم إليها قرطبة، وبهذا يكون قد أقلع عن الدراسة إلى تدبير السياسة.

بعد وصول المعتمد إلى لورقة* علم أن العدو قد جيش لها واحتشد فأمر الراضي بالخروج إليه في عسكر لمحاربته، فأظهر التمارض والتشكي فرارا من المصادمة، وحزعا من منازلة الأقران، ورأى أن المطالعة أرجَح من المقارعة، فعلم المعتمد ما نواه، فأعرض عنه، وأنهض جماعة من إخوانه وأقعده، وأدناهم وأبعده، هذا ما دعاه أن يكتب إليه مستعطفا يقول:

أُعِيْذُكَ أَنْ يَكُونَ بِنَا خُمُولٍ وَيَطْلَعُ غَيْرَنَا وَلَنَا أَقُولُ

---

[1] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 92.

[2] – ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 57.

* لورقة: مدينة أندلسية.

حَنَانُكَ إِنْ يَكُنْ جُرمِيْ قَبِيْحًا فَإِنّ الصَفْحَ عَنْ جُرْمِي جَمِيْلُ

أَلَستُ بِفَرْعِكَ الزَاكِي وَمَاذا يَرجِي الفَرْعُ خَانَتْهُ الأُصُولُ[1]

(الوافر)

فحب المعتمد عنه وجه رضاه، ولم يستنزله ولم يسترضيه، وتمادى على إعراضه وكتب إليه بهزل يقول:

المُلْكُ في طَيِ الدّفَاتِرِ فَتَخلّ عَنْ قُوْدِ العَسَاكِـرْ

طُفْ بالسّرِيْرُ مُسَلِـمًا وَارْجَعْ لِتَوْدِيْعِ المَنَـــابِرْ

وَازْحَفْ إِلَى جَيْشِ المَعَا رِفِ تَنْهِر الحِبْرَ المَقَامِـرْ

واقْعُدْ فإِنَكَ طَاعِـــمٌ كَاسِ وَقُلْ: هَلْ مِنْ مُفَاخَرْ[2]

(البسيط).

وحينما وصلت هاته القصيدة إلى الراضي أدرك حينها خطأه في تحصيل العلوم على حساب الاهتمام بالجيش فكتب إليه بقصيدة يطلب فيها صفحة يقول:

مَوْلاَي قَدْ أَصْبَّحَتُ كَافِرًا بِجَمِيْع مَا تَحْوِي الدّفاتـرْ

وَعَلَمْتُ أَنّ المُلْكَ مَـــا بَيْنَ الأَسِنَةِ وَ الَوَاتِـــرْ

وَ المَجْدُ والعُلْيَـــاءُ فِي ضَرْبِ العَسَاكِرِ بالعَسَاكِرِ

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ مِنْ سَفَا هٍ أَنّهَا أَصلُ المَفَاخِـــرْ

فَإِذَا بِهَا فَرْعٌ لَهَـــــا والجَهْلُ للإِنْسَانِ عَاذِرْ[3]

(الكامل).

---

[1] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، 251.

[2] – المصدر نفسه:ج4، ص 253.

[3] – المصدر نفسه، ج4، ص 254.

ولم يتفانى الشاعر في أن يذكر والده بمقاتلته الأعداء، بعد محاولتهم السيطرة على الجزيرة الخضراء ومنعهم من الإستيلاء عليها يقول:

لاَ تَنْسَى يَا مَوْلاَيَ قَوْ لَةَ ضَارِعٍ لاَ قَوْلَ فَاخِرْ

ضَبْطَ الجَزِيرَةِ عِنْدَمَا نَزَلَتْ بِعَقْوَتَهَا العَسَاكِرْ

(الكامل).

ويعتمد الشاعر إنهاء قصيدته باستعطاف والده، علّهُ يكسب عفوه يقول:

هَبْنِي أَسَأْتُ كَمَ أَسَأْ نُ أَمَا لِهَذَا العَتْبِ آخِرْ

هَبْ زَلَتِي لِيئُوَتِي فَاغْفِرَ فَإِنّ اللهَ غَافِرْ[1]

(الكامل).

وحين قرأ المعتمد القصيدة قربه وأدناه، وصفح عما جناه.

3/ استعطاف المحبوبة:

لم يَقِفْ الأمر بشعراء الاستعطاف عند استعطاف الحاكم أو الوالد، بل تعدوا ذلك إلى استعطاف المحبوبة التي كان لها النصيب الأوفر من الأشعار الاستعطافية. فالمحبوبة التي قُطِعَتْ أواصر المحبة بينها وبين محبوبها وما يصحب ذلك من ألمٍ ومعاناةٍ، جاعلة الشاعر يحيا حياة عسيرة، فيشرع في التغزل بها، لذلك تدور مجمل معانيه حول الشكوى الاستعطاف، والوجد، والصبابة، وحرارة الشوق، والتعلل بالأماني والوعود، وكتمان الأسرار عن الناس، والوفاء للمحبوبة على مدى طويل.

[1] – المرجع السابق: ج4، ص 255.

ومما أشار إليه **ابن حزم** أيضا بأنهم « **يتغنون لمباهج الحب الموصول ويصفون آلام الهوى الخائب، ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق ويبكون في لهجة مشوبة بآلام الفراق**».[1]

1/ ابن زيدون:

- استعطف ابن زيدون محبوبته ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمان ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله، كانت مشهورة بالصيانة والعفاف فقد ذكر **ابن بشكوال فقال** « **كانت أدبية شاعره، جزلة القول، حسنة الشعر كانت تناضل الشعراء وتساجل الأدباء**».[2]

ويتحدث **المقري (ت1040هـ)**عن سبب الجفوة بين ابن زيدون ومحبوبته ورأى بأنها كانت لها جارية سواء بديعة المعنى، فظهر لولادة أنه مال إليها فكتبت إليه:

لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ في الهَوَى ما بَيْنَنَا لَم تَهْوَ جَارَيتِي وَلَمْ تَتَخَيرِ

وَتَرَكْتَ غَصتًا مُثْمِرًا بِجَمالِهِ وَجَنَحْتَ للغُصْنِ الذِي لَمْ يُثْمِرِ

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنّني بَدْرُ السمَا لَكِنَ وَلَعَتَ لِشَقَوَتِي بالمَشتَرِي[3]

(الكامل)

---

[1] – ابن حزم: الأندلسي: طوق الحمامة بين الألفة والآلاف، تحقيق: فسلروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، (د ط)، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 75.

[2] – ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 1966، ص 204.

[3] – القري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 205.

وبعد أن تعددت الأسباب التي أدت إلى القطيعة بينه وبين محبوبته، وبين ابن جهور،و بعد أن سددت أسهمهم إليه كتب إليها يعتذر يقول:

يَا مُخْجَلْ الغُصْنِ الفَيْنَانِ إنْ خَطَرَا وَفَاضِحَ الرَشْاءِ* الوَسْنَانِ إنْ نَظَرَا

يَفْدِيْكَ مَي مُحِبٌ، شَأَنُهُ عَجَبٌ مَا جَاءَ بالذَنْبِ إلاَ جَاءَ مُعْتَـــــذرَا [1]

(البسيط).

ويقف الشاعر من محبوبته موقف مناجاة ، ويذكرها بالأيام التي انقضت بعد أن تحول الوصل إلى هجران يقول:

جَزَيْتَنِي عَنْ تَمَادي الوَصْل هُجْرَنًا وَعَنْ تَمَادي الأَسَى والشُتـوقُ سِلْوانًا

عَهْدي كَعَهْدِكَ مَا الدُنْيَا تُغَيرُهُ وَإنْ تَغَيَرَ مِنْكَ العَـــــــهْـدُ أَلْوَانًا

مَا صَحَ وِدِي إلاّ اعتّلَ وَدَكِ لِي وَلاَ أَطَعْتُكِ إلاَ زِدْتِي عَصـــــيَانـــا

يَا أَلْيَنَ النّاسِ وَأَعْطَافًا وَ أَفْتَنُهُم لَحْظًا، وأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَ أَرْدَنـــــــا

حَسُنْتِ خَلْقًا فأَحْسِنِي لا تَسْوء خُلُقًا مَا خَيْرُ ذِي الحُسْنِ إنْ لَمْ يَوَلِ إحْسانًا[2]

(الخفيف).

– وبعد كل هذه الاعتذارات، لم يبق لابن زيدون من شيء إلا ليصور نفسه في صورة المجرم الذي أُجْرِمَ بَلا ذَنْبٍ ويتشوق للحبيب كما يتشوق الظمآن للماء يقول:

أَأَجْفَى بِلاَ جُرْمٍ، وأَقْصَى بَلا ذَنْبٍ سوَى أَنَني مَحْضُ الهوَى صَادِقُ الحُبِ

أَغَادِيْكَ بالشَكوىَ، فَأَضْحىَ عَلَى القَلَى وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى فَأَظْفَرُ بِالْعُـــــــتبِ

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 18. *الرشإ:ابن الظبية

[2] – المصدرنفسه: ص 52.

فَدَيْتُكَ مَا لِلمَاءِ عَذْبًا على الصَدَى وَ إنْ سُمْتَنِي خَسْفًا مَحَلُّكَ مِنْ قَلْبِـــي[1]

(الطويل).

- لقد صور الشاعر حالة وما آلت إليه، بعد أن كانت تحيا حياة مفعمة بالحُبِ والضحك، وكيف صارت بعد أن صرمت محبوبته حبل وصاله ويسألها أن تدوم على العهد ويتحسر على أيام الحب الخوالي: لذلك يفتح الشاعر قصيدته بمقارنة الماضي حيث كان الحب والوفاء والحاضر وما يحمله من هجر وبكاء يقول:

أَضْحَى التَنَائِي بَدِيْلا مِنْ تَدانِيْنَا وَنابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْـنَا

أَلاَ وَقَدْ حَانَ صُبْحُ البَيْنِ صَبحَنَا حَينُ فَقَامَ بِنَا لِلحَيْنِ نَاعِيْنَـــا

إنّ الزّمَانَ الذِي مَا زَال يُضْحِكُنَا أُنْسَا بِقُرْبِهِم قَدْ عَادَ يُبْـــكِينَا

دُوْمِي عَلَى العَهْد مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَالحُرُ مَنْ دَانَ إنْصافَا كمَادِيْنَا [2]

(البسيط).

ويختم الشاعر قصيدته بالتذلل والاستعطاف لمحبوبته علها تعطف عليه وينالـه رضاها يقول:

أَبْكَى وَفَاءً، وَإنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً فَا لَطَيْفُ يُقْنِعُنَا والذّكْرُ يُكْـــفِيْنَا

وَفِي الجَوَابِ مَتَاعا إن شَفَعْتِ به بَيْضُ الأَيَادِي التي مَازَلَتْ تَوَلَيْنَا

عَلَيْكِ مِن سَلاَمَ اللهُ مَا بَقَيْت صَبَابَةٌ بِكَ نُخْفِيْهَا، فَتُخْـــفِيْنَا[3]

(البسيط).

---

[1] – المصدر السابق: ص 46.

[2] – المصدر نفسه: ص 09.

[3] – المصدر نفسه :ص 12.

وبعد كل هذه المحاولات لقي ابن زيدون عكس ما أراده، فقد أخفق في استعطاف واستمالة قلب محبوبته التي أصرت على هجره، تاركة إياه غارقا في بحار أحزانه وأشجانه.

2/ أما المعتمد بن عياد الذي لم أعثر له إلا على بعض الأبيات التي نظمها إستعطافا واسترضاءا لجارية اسمها « جوهرة» وكان يحبها، فجرى بينهما عتاب، ورأى أن يكتب إليها يسترضيها يقول:

سُرُورُنَا بَعْدَكُمْ نَاقِصٌ والعَيْشُ لاَ صَافٍ وَلاَ خَالِصُ

والسَعْدُ إنْ طَالَعتَا نَجْمَهُ وَغَبْتِ فَهُوَ الآفِلُ النَاكِصُ

سُمُوكِ بِالجَوْهَرَ مَظْلَمَة مِثْلَكَ لاَ يُدْرِكُهُ غَائِص[1]

(البسيط).

وقال فيها أيضا وقد جعل قسما كبيرا من شعره في التغزل والاستعطاف ومن ذلك يبدو أنها كانت ساخطة عليه يقول:

جَوْهَرةٌ عَذَبَنِي مِنْكَ تَمَادِي الغَضَـــبِ

فَزَفْرَتِي فِي صَعَدٍ وَعَبْرَتي في صَـــيَبِ

يَا كَوْكَبَ الحُسْنِ الذِي أَزْرَى بِزُهْرِ الشُهْـبِ

مَسْكَنُكِ القَلْبُ، فَلاَ يَرْضَىَ لَهُ بالوَصَبِ[2]

(الكامل).

[1] – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 93.

[2] – المصدر نفسه : ج4، ص 93.

- يبدوا من خلال كل الأشعار التي نظمها ابن عباد والتي عثرت عليها، أنها نظمها جلها في استعطافه لجواريه، لذلك نجده يستعطف جارية له يقال لها (**وِدَاد**):

لَكَ اللهُ كَمْ أَوْدَعْتَ قَلْبِي مِنْ أَسَى وَكَمْ لَكَ مَا بَيْن الجَوَانِحْ مِنْ كَلَمِ

تُحَاظُكَ طُوْل الدّهْرِ حَرْبٌ لِمُهْجَتِي أَلاَ رَحْمَةٌ تُثنِيْك يَوْمًا إِلَى سِلْمِى[1]

(الطويل).

وقال أيضا:

قُلْتُ: مَتَى تَرْحَمَنِي ؟ قَالتْ: وَلاَ طُوْلَ الأَبَدِ

قُلْتُ: فَقَدْ أَيْأَسْتنِي مِنْ الحَيَاةِ، قَالَ: قَدِ [2]

(الطويل).

ومما سبق نلاحظ أن معظم الشعراء و بعد كل التذلل والخضوع، تجاه محبوباتهم إلا أنهم أخفقوا في استعطافاتهم وتحقيق هدفهم المرجو، وذهبت أشعارهم مهب الريح.

[1] – المصدر السابق: ج4، ص 94.

[2] – المصدر نفسه: ج4، ص 94.

الفصل الثاني:

البناء الفني في قصيدة الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف.

1-بناء القصيدة.

2-اللغة والأسلوب.

3-الصورة الشعرية.

4-الأوزان والقوافي.

5-إستلهام التراث.

1- بناء القصيدة:

ارتبط بناء القصيدة في الشعر العربي بتقاليد فنية معينة استقرت ملامحها ورسومها منذ العصر الجاهلي، وتوارثها الشعراء على مر العصور وسعوا على تحقيقها في أشعارهم حتى استحالت هذه التقاليد الفنية إطارا جماليا مرجعيا يحصر فيه الشعر أنفسهم تمخض عنه فيما بعد شكل القصيدة التقليدية بأصوله وقواعدها. ولم تتبدد هذه التقاليد الفنية بتغير البيئة الزمانية والمكانية، بل ظلت تفرض نفسها في عصور الأدب المختلفة. لذلك حينما ظهرت نماذج الشعر الأندلسي الذي نبتت أصوله في البيئة الأندلسية، لم يكن ليخرج في إطاره العام عما كان عليه الشعر في المشرق بوصفه جزأ لا يتجزأ منه مع مراعاة البيئة وتميز طريقة التعبير لدى كل منهما[1].

- ويمكن أن نبرز ذلك من خلال من خلال تناول العناصر الأساسية لبناء القصيدة الإستعطافية في الأندلس والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

افتتح شعراء الإستعطاف معظم قصائدهم بالمقدمة الغزلية، سواء الموجهة إلى الحاكم أو المحبوبة، ويعد ابن زيدون من أبرز الشعراء الذين استكثروا من المقدمات الغزلية في فواتح مدائحهم، وأسرفوا في إطالتها، ومما يصور بعض هذه الملامح قول ابن زيدون في مقدمة إحدى مدائحه في ابن الوليد بن جهور يقول:

هَلْ عَهِدْنَا الشَمسَ تَعْتَادُ الكِلَلْ؟ أَمْ شَهِدْنَا البَدْرَ يَجْتَابُ الحُلَلْ؟
أَمْ قَضِيْبُ البَانِ يَعْنِيْهِ الهَوَى؟ أَمْ غَزَالَ القَفْرِ يُصَيْبَهُ الغـــزَلْ؟
خَرَقَ العَادَاتِ مُبْدِي صُوْرَةٍ حَشَدَ الحُسْنُ عَلَيْهَا فَاحْتـــــفَلْ

---

[1] ينظر:أشرف محمود نجا:قصيدة المديح في الأندلس-قضاياها الفنية والموضوعية-عصر الطوائف والمرابطين ص174.

مُشْرَبُ الصَفْحَةِ مِنْ مَاءِ الصّبَا مُشْبَعُ الوَجْنَةِ مِنْ صِبْغِ الخَجَلْ[1]

(البسيط).

– وأرى أن أغلب الظن في إلحاح الشاعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف على توظيف عناصر الغزل القديم– في مقدمات القصائد الإستعطافية.

ما هو إلا براعة استهلال فيها جذب لهذا الممدوح واستثارة القيم المروءة العربية فيه ليحمله ذلك على إجابة رغائب الشاعر وحوائجه، حتى وإن كانت غزلية فإنها لا تنفصل عن الموضوع الأساسي وهو الحديث عن آلامه ومعاناته في سجنه، ليضفي بعد ذلك إلى استعطاف ولي أمره.

– كما ربط شعراء الاستعطاف أيضا بعض قصائدهم الاستعطافية بمقدمات في وصف الطبيعة، ومحاولة الربط بين ذواتهم وعناصرها كافية، فجعلوها تشاركهم في مصائبهم ونكباتهم، فنأسة لحالهم، وترثي لما أصابهم يقول ابن عمار حين نقاه المعتضد من اشبيلية:

عَلّيَّ وَ إلاّ مَا بُكَاءُ الغَمَائِمُ وَفيَّ وَ إلاَّ مَا نِيَاحُ الحـــــمَائِمِ

وَعَنَي أَثَارَ الرّعْدَ صَرْخَةُ طَالِبٍ لِثَأْرٍ وَهَزَ البَرْقَ صَفْقَةُ صَارِمِ[2]

(الطويل).

– كما أسهل بعض الشعراء قصائدهم بمقدمات حكمية يضمونها خبراتهم ونظراتهم العميقة في الوجود فقد افتتح ابن الحداد قصيدته بمقدمة حكمية عندما خاطب ابن صمادح ورجاه أن يطلق سراحه يقول:

والنَفْسُ عَادِمَةُ الكَمَالِ وَإِنَّما بالحَدِيثِ عَنْ عِلْمِ الحَقَائِقِ تَكْمُلُ

---

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 338.

[2] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص54.

والمَرْءُ مِثْلَ النَصْلِ فِي إِصْدَاءِهِ والجَهْلُ بِصْدِي والتَفَهُمِ يَصْقُلُ[1]

(البسيط).

ويضمن ابن زيدون نظراته الحكمية إحدى مقدمات قصائده في مدح واستعطاف أبا الوليد بن جهور، مقدمة مزج فيها صوت العقل والحكمة بصوت النفس والذات يقول:

لَيْسَ الرُكُوْنُ إِلَى الدُنْيَا دَلِيْلُ حِجًا فَإِنَّهَا دُوَلٌ أَيَامُهَا مُتَــعُ

تَأْتِي الرّزَايَا نَظَمًا مِنْ حَوَادثَهَا إِذْ الفَوَائدُ فِي أَثْنَائِهَا لُمَعُ[2]**البسيط)**

وبما أن الموضوع الرئيسي لمعظم القصائد الاستعطاف، كان لابد للشاعر أن يستهل بعضا منها بالاستعطاف مباشرة، وهذا إن كانت لا تتجاوز المقطوعة أو اثنتين، حوت أكثر الأغراض ملازمة للاستعطاف وهو المديح. يقول ابن عمار يستعطف المعتمد:

سَجَايَكَ– إِنْ عَافَيْتَ – أَنْدَى وَ أَسْمَعُ وَ عُذْرُكَ – إِنْ عَاقَبْتَ– أَجْلَى وَ أَوْضَحُ[3]

(الطويل).

ويقول أبو الحسن الفكيك أيضا في استعطافه لابن عباد:

أَسْأَلُ اللهَ عَفْوَكَ فَلَئِنْ سَاءَ مَقَالِي لَقَدْ تَعْفُ القُلُوْبُ

قَدْ يَنَالُ الفَتَى الصَغَائِرَ ظَرْفًا لا سِوَاهَا وللْذّنُوبِ ذُنُوبُ[4]

(مجزوء الحقيق).

ومهما يكن من شيء، فإن المقدمات التي استهل بها الشاعر الأندلسي قصائده الاستعطافية، يمكن أن تعد إجمالا تعبيرا صادقا انفعاله بالبيئة الأندلسية من جهة، ومقدرة فنية لاستشارة مروءة من يستعطف والفوز بالصفح والعفو من جهة أخرى.

2/ التخلص:

حرص شعراء الاستعطاف على تحسين انتقالاتهم وتخلصاتهم من مقدمات قصائدهم إلى الموضوع الرئيسي، وقد سلكوا مسالك عدة للتخلص الرقيق والانتقال الهادئ، باستخدام أدوات للربط مثل (كأن المخففة أو الثقيلة، الكاف، الواو، الفاء، أو ...). [1]

ولقد حرص الشعراء المستعطفون على أن يكون مفتتح الغرض الجديد من قصائدهم مثيرا النفس من يستعطفون لتكون أكثر تهيؤا للإصغاء والتلقي بعد أن قد موالها بمجموعة من التمهيدات التي اعتبرت كااستهلالات ذات أبعاد نفسية تثير الذهن وتجذب الانتباه، ومن تخلصاتهم نذكر:

1/ انتقال الشاعر من النسيب فجأة ليهجم على الاستعطاف.

2/ انتقال الشاعر من الوصف إلى الفرض الرئيس مثلما فعل ابن زيدون في استعطافه لأبي الوليد جمهور. وابن الحداد، ابن عمار، ابن اللبانة.

[1] – أشرف محمود نجا: قصيدة المديح في الأندلس – قضاياها الفنية والموضوعية – عصر الطوائف– ص 174.

3/ قد يلجأ الشعراء للتخلص الحسن باستخدام بعض الأساليب (كالاستفهام- الاستفهام الإنكاري) شاكين للدهر وتربصه بهم، جاعلين من ذلك انفعالا طبيعيا إلى الاستجارة يحمي المستعطف.

4/ وإذا استثنينا هذه الاستعطافات التي بدأها الشعراء الأندلسيون بمقدمات تقليدية فقد أثرت – إضافة إليها بعض الاستعطاقات لهؤلاء الشعراء أنفسهم يستهلونها باارتجال الاستعطاف ارتجالا دون تمهيد أو تقديمهم، وإن كان قلما نجد مقطوعة أو قصيدة استعطافية انتصرت على موضوع الاستعطاف. [1]

3/ خاتمة القصيدة:

– أعار الشعراء لخاتمة القصيدة اهتماما لا يقل عن اهتمامهم بالمطلع والتخلص ووجوب تجويدها، **لأنها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في السمع، فإن حسنت حسن الكلام بها، وإن قبح، وإن كان أول الشعر مفتاحه، فإن الخاتمة قفله.** [2]

– وبما أن الموضوع الرئيسي لمعظم القصائد هو الاستعطاف كان ولا بد للشاعر أن يختم قصدته بمجموعة من الأبيات الاستعطافية من جهة، أو الدعاء له بالخير والعزة ليبقى هذا عاملا يدفعه لاتخاذ الموقف المناسب الذي يرمي إليه الشاعر من خلال مدحه. ومن ذلك قول ابن زيدون بعد ما قدم بمديح لأبي الحزم بن جمهور يقول:

لَكَ الشَفَاعَةُ لاَ تُثْنِيْ أُعْنتُهَا دُوْن القُبُولِ بمقْبُوْلِ مِنْ العُذْرِ

وَالْبِس مِنْ النِعْمَةِ الخَضرَاء أَبْكَتهَا ظِلاَ حَرَامًا عَلَى الآفَاتِ والعِير [3]

---

[1] – المرجع السابق ، ص 175- 176.

[2] – ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ص 218، 239.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 95.

(البسيط).

ويقول أيضا وقد استهل قصدته بالتغزل بمحبوبته ولادة تم ختمها لأبيات يستعطف فيها سجانه أبا الحزم:

فَمَالَكَ لاَ تَخْتَصَنِي بِشَفَاعَةٍ يَلُوْحُ عَلَى دَهْرِي لَمِيسَمِهَا عَلـــَطُ

وإِنْ يُسْغِفْ المَوْلَى فَنُعْمَى هَنِيئَةٌ تُنَفّسُ عَنْ نَفْسٍ أَلَظَ بِهَا ضَعَطُ [1]

(الطويل).

وأما ابن عمار فقد ختم قصيدته راجيا عفو المعتمد يقول:

سَأَسْتَسمِحُ الرّحْمَى لَدَيْكَ ضَرَاعَةً وَ اَسْأَلُ سَقْيًا مِنْ تَجَاوُزِكَ العَذَابِ

فَإِن نَفَحْتَنِي مَنْ سَمَائِكَ حرجُف* سَأَهْتِفُ يَا بَرْدَ النَسيْمِ عَلَى قَلْبِي[2]

(الطويل).

ويختم المعتمد قصديته بالتماس الرضى من والده بعد أن استثار عاطفته بقوله:

رِضَاكَ رَاحَةُ نَفْسِي لاَ فُجَعْتَ بِهِ فَهُوَ العَتَادُ الذِي للدَّهْرِ أَدّخِرُ [3]

(البسيط).

---

[1] –المصدر السابق:ص 41– 42.

* حرجف: الرياح البادرة.

[2] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن هل الجزيرة، ق2، ج1، ص 407.

[3] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 58.

وإذا كانت معظم القصائد الاستعطافية في هذه الفترة موجهة إلى الملوك والأمراء، فقد حرص الشعراء على تحسين انتهاءات قصائدهم واختتام جانب كبير منها بما يثير انفعال المستعطف، وعاملا يدفعه لاتخاذ الموقف المناسب الذي يرمي إليه الشاعر، وقد كان المدح أكثر ما يختتم به الشاعر الأندلسي قصيدته، وذلك بالتنويه بما يصوغه من غرر الكلم وبديع الشعر التي يزجيها بين يدي سبحانه حتى يجزيه عليها الجزاء الذي يسموا إليه.

I/ اللغة:

– اللغة هي الوسيلة الفعالة التي تصل بينا وبين الشاعر، وعن طريقه فقط يستطيع إظهار قصيدته إلى الوجود، لذا فهي أداء مهمة في ثقل فكرة الشاعر وصياغتها بما تحمل من عاطفة وخيال يفرضان على الشاعر اختيار الألفاظ المعبرة[1]، وقد تنبه الأندلسيون في هذه الفترة (ملوك الطوائف) إلى أهمية اللغة فعنوا بألفاظهم بما أضفوا عليها من خفة ورشاقة، وكثيرا من الألفاظ الرقيقة المأنوسة البعيدة عن الغرابة. وشعرهم إلى الرقة أقرب منه إلى الجزالة، وقد وصف **بطرس البستاني** لغة الأندلسيين بأنها محكمة البناء وقال:« أن العرب هم أبعد الناس عن نسيان قديمهم لتكمن غزيرة التقليد في نفوسهم».[2]

– ويرى البستاني في موضع آخر« **أن الأندلسيين سلكوا مسلك الشعراء العباسيين التشابه الحياة والبلاد وقد كانت اللغة الفصحى هي السائدة في المجالات الرسمية والأدبية والفكرية عامة وتأثرت بالبيئة الجديدة بما أضفت عليها من خصائص تميزت بها عن اللغة الفصحى في الأقاليم العربية الأخرى».** [3]

---

[1] – عز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، (د ط)، (د ب)، 2006، ص 297.

[2] – بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس، دار هارون عبود للنشر، (د ط)، (د ب)، 2006، ص 297.

[3] – المرجع نفسه: ص 40.

– فاللغة إذن أهم عناصر الإبداع الأدبي بعامة والشعر خاصة، فهي أداة الشاعر ووسيلة لنقل ما يختلج في خاطره وما يفيض به من وجدانه، وفي ظل هذا الوعي بأهمية اللغة في الإبانة عن قلب النص نحاول في هذه الدراسة الدنو من لغة شاع الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف للإنصات إلى آهاته وآلامه التي تصاعدت من خلال قصائده.

1/ المعجم اللغوي والأسلوب:

– لما كان شعر الاستعطاف يتوجه إلى ولي الأمر والخليفة، رغبة في الحصول على العفو والرحمة، كان من الطبيعي أن يدور معجمه اللغوي حول تلك المضامين والمعاني، وهذا ما نلمسه في شعر هذا العصر، حيث استطاع الشاعر أن يقدم أو ينقل ما يختلج في نفسه من مكنونات مستخدما ألفظا تتماشى مع واقعة النفسي[1] فإذا أقرأنا هذه الأبيات للشاعر " المعتمد بن عباد" يقول فيها:

مَوْلاَيْ أَشْكوُ إِلَيْكَ دَاءًا أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيْحَا

إِنْ لَمْ تُوَجِهْ رَضَاكَ عَنِي فَلَستُ أَدْري لَهُ مَرِيْحَا

وغْفِرْ ذُنُوبي وَلاَ تُضَيّف عَنْ حَمْلِهَا صَدْرَكَ الفَسْيَ [2]

(البسيط).

– تصادفنا في هذه الأبيات الاستعطافية الألفاظ التالية (أشكوا، رضاك، اغفر) وهي ألفاظ تدور حول معنى الاستعطاف (أي طلب العطف والحث عن العفو) والشواهد على

---

[1] – عمر ابراهيم توفيق: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، ص 130.

[2] – ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ق2 –ج1، ص 420.

ذلك كثيرة منها قول الشاعر " ابن عمار" متلمسا شفاعة المعتمد بن عباد بألفاظ متباينة يقول:

سَجَايَاك إِنْ عَافَيْتَ أَنْدَى وَأَسْمَحُ

وَعُذْرُكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ

وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الخَطَتَيْنِ مَزَيـة

فَأَنْتَ إِلَى الأدْنَى من اللهِ تَجْنَحُ. (الطويل).

أَلاَ إن بَطْشَا للمؤيِدِ يُرْتَمَى

وَلَكِنّ حُلْمًا للمُؤَيِدِ يَرْجُح

نَعَمْ لي ذَنْبٌ غَيْرَ أَنّ لِحِلْمِهِ

صُفَاةٌ يَزَلّ الذَنْبُ عَنْهَا فَيَنْفَعُ[1]

(الطويل).

– لقد صاغ الشاعر أمله بعفو المعتمد بصورة متباينة فالمعتمد إن خير بين عقاب الشاعر والعفو عنه، فإنه سيختار ما يدنيه من الله ويقربه منه، وعلى الحكم الذي يفوق الذنوب مهما عظمت.

ومن أهم ما يتسم به كذلك المعجم الشعري في شعر الاستعطاف الوضوح والسهولة وتجنب الغريب، فالكلمات والتراكيب فيه واضحة المعنى، كثيرة الاستعمال، مألوفة، لا تكاد

[1] – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تحقيق: محمد سعيد العريان، دار بهاء الدين للنشر، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 189.

تخفي على عامة القراء، وهذا أَمْرٌ طبيعي في شعر الاستعطاف الذي يقوم على ألفاظ وعبارات لها علاقة بالاستشفاع كقول الشاعر ابن زيدون في طلب الشفاعة من أبي الحزم بن جهور يقول:

لَكَ الشَفَاعَةُ لاَ تُثْنَى أَعْنَتُهَا دُونَ القَبُولِ بِمَقْبُولِ مِنَ العُذْرِ [1]

(البسيط).

ويقول أيضا:

للشفيْعِ الثَنَاءُ و الحَمْدُ في صَوْ بِ الحَيَا للرِيَاحِ لا للْغُيُوْمِ[2]

(الخفيف).

ويقول:

فَمَالَكَ لاَ تَخْتَصَنِيْ بِشَفَاعَةِ يَلُوحُ عَلَى ذَهْرِي لِيَمَنَعَهَا غَلَطُ[3]

(الطويل).

ويقول ابن عمار مخاطبا المأمون الفتح بن المعتمد:

هَلاَ سَأَلْتَ شَفَاعَةَ المَأْمُونِ أَوْ قُلْتَ مَا فِي نَفْسِهِ يَكْفِيَنِي[4]

(الكامل).

وقول المعتمد بن عياد :

وَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَلاَ تَضَيف عَنْ حَمْلِهَا صَدْرِكَ الفَسِيْحَ [5]

(البسيط).

---

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 88.

[2] – المصدر نفسه:ص 125.

[3] –المصدر نفسه: ص 91.

[4] – ابن بسام : الذخيرة، ج1، 424.

[5] – المقري: نفح الطيب، ج4، 92.

فألفاظ (اغفر – شفاعة– الشفيع– ارحم ...) كلها ألفاظ تدل على طلب العطف والحث على العفو.

كما كثرت في الأشعار الاستعطافية ألفاظ عبرت عن ذل الشعراء على الرغم من أن بعض الشعراء كانوا من غلبّة القوم ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ابن عمار بعدما اعتقل وعرض للبيع يقول:

أَصْبَحْتُ فِي السُوقِ يُنَادَى عَلَى رَأْسِيْ بِأَنْوَاعِ مِنَ المَالِ

واللهُ مَجَارَ عَلَى ماله مَنْ ضَمّنّي بِالثَمِين الغَالِي[1]

(التسريع).

– ويختم ابن زيدون قصيدته والتي يستعطف بها أبي الحزم بم جمهور بمخاطبة الخاضع الذليل يقول:

أَنَا العَبْدُ فِي ذُل الخُضُوعِ لَوْ أَنّني أَرَى البَدْرَ تَاجِي والنجُومَ خَواتِمي

وإنّي إذا أَنْصَفت بَعْدَكَ خَادِمًا لِدَهرِي، وَكَانَ الدّهْرُ عَنْدَكَ خَادمي[2]

(الطويل).

– ويقول في قصيدة أخرى بعدما وصل إلى درجة اليأس وأدرك المذلة فيصور نفسه بالذليل الذي فقد الأمل في العفو يقول:

(إبَانِي) في جَوَارِكُمْ الذَلِيْلُ وَحَدّي فِي رَجَائِكُمْ الكَلِيْلُ

[1] – ابن بسام: الذخيرة، ق2، ج1، ص 419.

[2] – المرجع نفسه: ص ، 375– 376.

أَتَحيَا أَنْفُسٌ الآمَالِ فِيْكُمْ وَلَي أَثْنَاءَهاَ أَمَلٌ قتْبُلُ ؟؟[1]

(الوافر).

ويقول إبن عمار في موضع آخر راجيا عفر المعتمد يقول:

– سَأَستمنح الرُحمَى لَدَيْكَ ضَرَاَغَةً وَأَسْأَلُ سَقْيًا مِنْ تَجَاوزكَ الغَدّب[2]

(الطويل).

– ويقدم لنا المعتمد صورة من صور الذل التي عاشها وهو يستعطف ابن تاشفين ويسأله الرحمة والشفقة بعدما أسره يقول:

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمْنِي مُسْلِمًا أَبِيْن أنْ تَشْقَقُ أوْ تَرْحَمَا

دَمَي شَرَابٌ لَكَ واللَحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ، لاَ تَهْشَمُ الأَعْظُمَا

اِرْحَمْ طَفيلاً طَائشًا لُبَهُ لَمْ يَخْشَى أَنْ يَأْتْكَ مُستَرْحِمَا

وَ ْرْحَمْ أُخَيَاتٍ لَهُ مِثْلَهُ جَرَ عَنْهُنَ السُمَ والعلْقَمَا. [3]

(السريع).

كما نجد أيضا أن الشاعر في معظم أشعاره الاستعطافية يلجأ إلة توظيف بعض المفردات الدالة بكائه مثل (أبكي– البكاء– الدموع ....) ومن ذلك قول الشاعر ابن الحداد يستشف عطف محبوبته يقول:

---

[1] – ابن زيدون: الديوان: ص 332.

[2] – إبن بسام: الذخيرة: ق2، ج1، ص 407.

[3] – ابن بسام: الذخيرة: ق2، ج1، ص 73.

فَكَمْ أَبْكِي عَلَيْكِ دَمًا وَلاَ تَرَثِيْنَ لِلْبَاكِيْ[1]

(مجزوء الوافر).

ويقول أيضا:

رُوَيْدَكَ أَيّهَا الدَمْعُ الهَتُونُ فَدُونَ عَيَانَ مَنْ أَهْوَى عُيُونُ [2]

(الوافر)

فقد تحدث الشاعر في هذين البيتين عن بكائه، فوظف في البيت الأول الفعل (أَبْكَي) وفي البيت الثاني ذكر (الدمع الهتون).

ويقدم المعتمد صورة لبكائه ليوسف بن شاشفين ويسأله الرحمة إلا أن غيره نفسه أبت عليه أن يقف هذا الموقف وبدا محافظا على رباطة جأشه يقول:

لَمَا تَمَاسَكَتِ الدُمُوعُ وَتَنَهنَهُ القَلْبُ الصَرِيْعُ[3]

(مجزوء الكامل).

– وأحيانا قد يستهل الشاعر قصيدته بالتماس الرحمة من الكائنات ويدعوها للبكاء معه ومشاركته عواطفه ومشاعره وهو ما يعرف بـ " التشخيص".

يقول ابن زيدون:

– أَلَمْ يَأن أَنْ يَبْكِي الغَمَامُ عَلَى مِثْلِي وَيَطْلُبُ ثَأري البَرْقُ مُنْصَلِتِ النَصْلِ

---

[1] – ابن الحداد: الديوان: تحقيق يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 241.

[2] – المصدر السابق: ص 264.

[3] – ابن بسام: الذخيرة: ق2، ج1، ص 53 وينظر: ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 66.

وَهَلاَ أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَيْلِ مأَعَمًا لِتَنْدُبِ فِي الآفَاقِ مَا صَاعَ مِنْ نَثْلي[1]

(الطويل).

ويقول: ابن عمار في قصيدة يحن إلى المعتمد ويخيل له أن سائر الكائنات تتعاطف معه يقول:

عَلَيّ وَإِلاَ مَا بُكَاءُ الغَمَائِمُ وَفِي وَ إِلاَ مَانِياحُ الحـــــــــمَائِمِ

وَعَنِي أَثَارَ الرّعْدُ صَرْخَةَ طَالِبٍ لثَأْرٍ وَهَزَ البَرقُ صَفْحَةَ صَارِمِ

وَمَا لَبِسَتْ زَهْرُ النُجُومِ حِدَادُهَا لِغَيْرِي وَلاَ قَامَتْ لَهُ فِي مَآتِمِ[2]

2/ الأسلوب:

يلجأ الشعراء إلى أساليب كثيرة متنوعة لتكوين نصوصهم وتحريكها، وإعطائها القيمة الجمالية التي تبرزها وتبعدها عن الركاكة والمألوف، لذلك عَرّفَ بعض النقد الأسلوب على أنه: « **طريقة الآداء والتعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه باستخدام العبارات اللغوية**».[3]

[1] – ابن زيدون: الديوان: ص 159.

[2] – ابن بسام: الذخيرة، ق2، ج1، ص 372.

[3] –ينظر: آزاد محمد كريم الباجلاني: القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عهدي الخلافة والطوائف، دار غيداء، ط1، عمان، الأردن، 2015، ص 274.

– ويقول البعض بأن الأسلوب: « **الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الشاعر أفكاره وأحاسيسه مبينا فيها ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات التي تُكَوِنُ ذاتها وتعطيها القيمة الجمالية**».[1]

– فالملاحظ في شعر الاستعطاف أن الشاعر قد لجأ إلى التلوين الأسلوبي، وهذه بعض النماذج من الأساليب التي فرضت نفسها في شعر الاستعطاف.

1/ التكرار:

– التكرار كوسيلة من الوسائل اللغوية، التي يمكن أن تؤدي دورا تعبيريا في القصيدة، كان لها حضور لافتا للانتباه في المعجم الشعري لشعر الاستعطاف، كتكرار لفظة، أو عبارة، ما يوحي بشكل أو بآخر على سيطرة هذا العنصر على فكر الشاعر وشعوره. [2] ويمكن أن نطالع ذلك في بعض الأبيات الشعرية الآتية:

– قال ابن زيدون بعد فراره من السجن مخاطبا أبا الحزم:

لاَ عَارَ لاَ عَارَ فِي الفِرَارِ فَقَدْ فَرَ نَبِيُ الهُدَى إِلَى الغَارِ[3] **(المنسرح)**.

– وقول ابن عمار طالب من الراضي أن يشفع له عند أبيه:

قَالُوا أَتَى الرّاضِي فَقُلْتُ: لَعَلّهَا خُلِعَتْ عَلَيْهِ مِنْ صفاتِ أَبِيْهِ

---

[1] – ينظر:حميد آدم ثويني: فن الأسلوب، دراسة تطبيق عبر العصور، دار الصفاء، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص 73.

[2] – ينظر: محمد أبو شوارب: جماليات النص الشعري، قراءة في آمال الغالي، دار الوفاء، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 163.

[3] – ابن زيدون: الديوان، 85.

يَأَيُهَا الرّاضي وَإِنْ لَمْ تُلْقِنِي مِنْ صَفْحَةَ الرّاضِي بِمَا أَدْرِيْه[1]

(الكامل).

وقوله أيضا:

وَمَاذَا عَسَىْ الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَزَايَدُوا سِوَى أَنَ ذَنْبِي ثَابِتٌ مُتَصَحّحٌ

نَعَمْ لِي ذَنْبٌ غَيْرَ أَنّ لِحُلْمِهِ صُفَاةٌ يَزِلُ الذَنْبُ عَنْهَا فَيَسْفَحُ[2]

(الطويل).

وقول الشاعر ابن اللبانة:

دَعَوْتُ لَمَا عِيْلَ صَبْرِي فَهَلْ يَسْمَعُ دَعْوَايَ المَلِيْكُ الحَلِيْمُ

مَوْلاَيَ مَوْلاَيَ أَلاَ عَطْفَةً تُذْهِبُ عَنِي بالْعَذَابِ الأَلِيْمُ[3]

(مجزوء الوافر).

– فظاهرة التكرار في هذه الأبيات ليس إلا أثرا لما تجيش به النفس من مشاعر التذلل لدى الشاعر وهو ما يبدوا واضحا من خلال توظيفه لبعض المفردات الدالة على ذلك كـ (مولاي– ذنب ...).

– وقد يقع التكرار للصيغة الواحدة في عدة أبيات متتالية، كتكرار الشاعر لصيغة الاستفهام (ألم) كقول ابن زيدون:

– أَلَمْ أَلْزَمْ الصَبْرَ كَمَا أخف؟ أَلَمْ أُكْثِرْ المَجْرَ كَيْ لاَ أَمَلِ ؟

---

[1] – ابن بسام: الذخيرة، ج1، ص 423.

[2] – ان بسام الذخيرة، ج1، ص 424. وينظر: ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 154.

[3] – المقرئ: نفح الطيب: ج4، 95.

أَلَمْ أَرْضَى مِنْكِ بِغَيْرِ الرِضَى وَأَبْدِي السُرُورَ بِمَا لَمْ أَبَلِ

أَلَمْ أُعْتَفِرْ مُوْبِقَاتِ الذُنُوبِ ؟ عَمْدًا أَتَيْتُ بِهَا أَمْ زَلَلِ ؟[1]

(المتقارب).

ويقول ابن زيدون:

وَأَينَ جَوَابٌ مِنْكَ نَرْضَى بِهِ العُلاَ إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدَ أَلْسِنَةِ الحَفْلِ ؟[2]

(الطويل).

ويقول أيضا:

مَا لِلذُنُوبِ الَتِي جَانِي كَبَائِرِهَا غَيْرِي يُحَمِلِنِي أَوْزَارَهَا وِزْرِي؟[3]

(الطويل).

وقوله:

أَبَا عَامِرٍ أَيْنَ ذَاكَ الوَفَاءُ؟ إِذَا الدَهْرُ وَ سِنَانُ وَ العَيْشُ غَضٌ

وَأَيْنَ الذّي كُنْتَ تَعْتَدّ مِنْ مُصَادَقَتِي الوَاجِبُ المُفْتَرَضُ ؟

أَلَمْ تَنشَ مِنْ أَدَبِي نَفْحةٌ حَسَبْتُ بِهَا المِسْكَ طَيبًا يَفْضُ؟[4]

(الطويل).

– ويوظف الشاعر ابن عمار الاستفهام محاولا تذكير المعتمد بأيامه الماضية يقول:

أَتَذْكُرُ أَيَامنَا بالْحِمَى وَأَيمَنَا بِلَوى الأَعْصُرِ؟ [5]

(المتقارب).

---

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 34– 35.

[2] – المصدر نفسه:ص163 .

[3] – المصدر نفسه: ص 149.

[4] – المصدر نفسه: ص 90– 93.

[5] – ابن بسام: الذخيرة، ج2، ص 685.

ويقول المعتمد مستعطفا قيده:

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمُنِي مُسْلِمًا أَبِيْتُ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَا ؟[1]

(السريع).

وقد يخرج الاستفهام عن معناه وهي ظاهرة من الظواهر التي وجدت بكثرة في الأشعار الاستعطافية ومثال ذلك قول ابن زيدون:

فَمَالَكَ لاَ تَخْتَصَنِي بِشَفَاعَةِ يَلُوحُ عَلَى دَهْرِي لَمَيسَمها عَلط ؟ [2]

(الطويل).

وقول ابن عمار يطالب الراضي أن يشفع له عند أبيه يقول:

هَبَكَ احْتَجَبتَ لِوَجْهِ عُذْرٍ بَيّنٍ بَذْلَ الشَفَاعةِ أَي شَيءٍ فِيْهِ ؟ [3]

(الكامل).

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الاستفهام قد خرج معناه من معنى الاستفهام إلى معنى الاسترحام.

وقد يخرج معنى الاستفهام أيضا إلى معنى التمني كقول ابن زيدون:

وَأَيْنَ جَوَابٌ مِنْكَ تَرْضَى بِهِ العُلاَ إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدَ أَلْسِنَةَ الحَفَل ؟ [4]

(الطويل).

---

[1] المصدر السابق:1، ص 73.

[2] – ابن زيدون: الديوان، 86.

[3] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 151.

[4] – ابن زيدون: الديوان ص، 163.

وقوله:

يَا هَلْ أُجَالِسُ أَقْوَامًا أُحِبُهم ؟ كُنَّا وكَانوا على عهد وقَدْ ضَعَنُوا[1]

(البسيط).

3/ الترادف:

– ومن الأساليب أيضا التي وظفها الشاعر في قصائده الاستعطافية نجد أسلوب الترادف التي يستخدمها الشاعر أحيانا في البيت الواحد، كما جمع الشاعر بين الضدين في البيت الواحد كقول ابن عمار:

وَقَالُوا: سَيَجْزِيَهُ فُلاَنٌ بِذَنْبِهِ فَقُلْتُ: وَقَدْ يَعْفُو فُلاَنٌ وَيَصْفَحُ. [2]

(الطويل).

وقول ابن عمار:

وَاعْفُ عَلَى آثَارِ جُرْمٍ سَلَكْتُهَا بِهِبَةٍ وَ رَحْمَةٍ مِنْكَ تَمَحْو **وَتَصْفَحُ**[3]

(الطويل).

– كما استخدم الشاعر الترادف في أبيات مختلفة كقول ابن زيدون متشفعا لأحد أصدقائه:

فَلَئِنْ أَمْسَيتُ **مَحْبُو** **سًا** فَلِلْغَيْثِ احْتِبَاسُ[4]

(مجزوء الرمل).

---

[1] – المصدرالسابق:ص 13.

[2] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 164.

[3] – ابن بسام: الذخيرة، ج1، 425.

[4] – ابن زيدون: الديوان، ص 83.

ويقول في بيت آخر:

مِئَوْتَ مِنَ الأَيَامِ خَمْسٌ قَطَعْتُهَا أَسِيْرٌ وَإِنْ لَمْ يَنْدُ شَذٌّ وَلاَ رَبَطُ[1]

(الطويل).

– نلاحظ أن كل من الألفاظ (العفو– الصفح– المحبوس– الأسير) لهما معنى واحد.

– ويجمع الشاعر حيان بين المتضادين في البيت الواحد وهي من الظواهر اللغوية التي كان لها حضورا لافتا للنظر ومن ذلك قول الراضي الذي استعطف ما سمعت والده يقول:

وَأَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ بِهِ **عَزِيزٌ** يُنَاديهِ فَيَرْحَمَهُ **ذَلِيْلُ**[2]

(الوافر).

وقول ابن زيدون وهو في ريعان الشباب، ولما بلغ الثلاثين من عمره يقول:

لَمْ تَطْيو بُرْدَ **شبابي** كبْرَةً وأرى بَرْقَ **المشيب** اعتلى في عارض الشعرِ

قَبْلَ الثلاثين إذْ عَهْدَ **الصبا** كَتبٌ **وللشبيه** غصُنٌ غير مهتصرِ[3]

(البسيط).

ويقول أيضا يصف ما ترضى له من سجن وعناء.

نَارٌ بَغي سَرَى إلى **جنة** الأمن لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصرَيمِ[4]

(الخفيف).

---

[1] –المصدر السابق:ص 88.

[2] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 72.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 148.

[4] –المصدر نفسه:125.

وإجمالا للقول نستطيع القول أن شاعر الاستعطاف أولى عناية مثيرة للإشباه لآلية اللغة باعتبارها أهم العناصر التي تشكل هيكل النص الشعري عامة والأشعار الاستعطافية خاصة، وهذه العناية أوحت بها مجمل الظواهر اللغوية التي صادفتني أثناء رحلتي التحليلية لعنصر اللغة في قصيدة الاستعطاف كالتلوين الأسلوبي والتحسين البديعي، وجزالة اللفظ وسهولة ووضوح المعنى وجماله، وقربه من الفهم المتلقي الذي حرص الشاعر على الوصول إليه بمخاطبته بلغة أكثر ألفة ووقعا على آذنه مما يؤدي إلى حرية انسيابية أكبر لتحقيق التواصل.

*** الصورة الشعرية:**

– الصورة الشعرية مقوم أساسي من مقومات الخطاب الأدبي تعبر عن طريقة خاصة في التفاعل مع المدركات الحسية والمجردة، وتتشكل بحسب الروئ التي يصدر عنها المبدع وبحسب موقفه الذاتي وطريقة تفاعله مع العالم الحسي والمعنوي[1]، وفي شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف برزت الصورة الشعرية في أنماط كثيرة أبرزها الصورة التشبيهية والاستعارية، عكست تجربة الشاعر بامتياز لتضفي على الخطاب الشعري جمالية فريدة تعكسها الشواهد الشعرية المحللة.

1/ الصورة البيانية:

– تعد الصورة البيانية « **اللغة الإنسانية الأولى، وهي الهدف الأسمى للغة الشعرية**»[2] وانطلاقا من طبيعة المعنى صُنِفت إلى أصناف أهمها:

---

(1) جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي،دار المعارف،ط1 ،القاهرة،مصر،1980،ص100.

(2)المرجع نفسه:ص102.

أ / الصورة التشبيهية:

– يعد التشبيه من أهم الظواهر التي برزت في شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف، فقد يلجأ إليه الشاعر لما فيه من روعة وجمال لإظهار الخفي، وتقريب البعيد، ويكسب المعاني رفعة ووضوحا ويدفع الخيال إلى التحليق لجلاء الصورة واستقصاء ملامحها الغامضة، وقد عده بعض البلاغيين أشرف أنواع البلاغة، وأنه ينهض برهانا على مقدرة الشاعر الإبداعية وفطنته العقلية إلى حد أن « **البراعة في صياغته أقترنت– لدى بعض الشعراء الأوائل– بالبراعة في نظم الشعر نفسه**»[1]

– عمد معظم شعراء الاستعطاف إلى إظهار عنصر الجامال الفني في معظم قصائدهم الاستعطافية، ويعد ابن زيدون أكثرهم استعمالا له، ومن ذلك قوله يمدح أبا الوليد بن جهور صاحب قرطبة يقول:

شَمْسُ النَهَارِ وَبَدْرُهُ وَ نُجُومَهُ أَبْنَاؤُهُ من فَرْقَدٍ* وسِمَاكِ*

يَا أَيُهَا القَمَرُ الذِي لِسنَائِهِ وَسَنَاهُ تَعْنُو السّبْعُ فِي الأَفْلاكِ[2](**الكامل**).

– فالممدوح كما صوره الشاعر في مجموع هذه التشبيهات التي تضمنها المقطع الشعري اجتمعت أوصافه، وقد وردت من قبل في مقاطع قصائد مبثوثة إحتواها الديوان، وفي هذه التشبيهات كان المشبه واحد في حين تعدد المشبه به، وبهذا يكون الشاعر قد أجهد

---

[1] – ينظر:جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، دار المعارف، ط1، القاهرة، مصر، 1980، ص 104.

* – الفرقد والسماك: هما من الكواكب

[2] – ابن زيدون: الديوان، ص 60.

نفسه في اختيار الكلمات ليشكل بها القصيدة، وذلك باتخاذه المدح وسيلة للاستعطاف والفوز بالأمل المرجو.

– وقد صور الشاعر أيضا ممدوحة ببعض الصفات الخلقية وإن كانت محامده كثيرة فقد صوره في جوده وغناه بالناقة التي تدر الحليب ولا تبخل على حالها يقول:

جَوَادٌ مَتَى اسْتَعْجَلَتَ أُوْلَى هِبَانِهِ كَفَاكَ مِنَ البَحْرِ الخِضَمّ عُبَابُ

عَنِيٌّ، عَنِ الابْسَاسِ*، دَرُنَوَالِهِ إذَا اسْتَنْزَل الدّرّ* البَكِئَ عِصَابُ[1]

(الطويل).

أما ابن عمار الذي يصور حاله وهو في حاله من الحزن بعد أن أَبُعْدَ عن بلده، فبدى له أن سائر الكائنات متعاطفة معه وتشاركه أحزانه يقول في قصيدة يرثى فيها نفسه:

عَلَيّ وَإلاَّ مَا بُكَاءُ الغَمائِمِ وَفِيّ وإلا مَا نِيَاحُ الحمَائِمِ

وعَنّي أَثَارَ الرّعْدُ صَرْخَةَ طَالبِ لِثَأْرٍ وَهَزّ البَرْقُ صَفْحَةَ صَارِمِ

وَمَا لَبِشْ زَهْرُ النُجُومِ حَدِاَنَهَا لِغَيْرِي ولا قامَتْ لَهُ فِي مآتِمِ[2]

(الطويل).

أما ابن اللبانة الذي يشيد بكرم ممدوحه ناصر الدولة مبشرا العامري فيشبه يمينه حينما تلقى قاصديه مانحة في شوق وارتياح وبقلب عاشق يقول:

---

*– الإبساس: لفظة تقال للناقة عند حلبها (بس – بس)

* – الدر: اللبن.

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 72.

[2] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، ج1، ص 372.

يَلقَى العُفَاةُ يَمِينَهُ وَكَأنّهَا قَلْبُ إلى لُقْيَا الأَحِبَةِ شَيّقُ [1]

(البسيط).

ويقدم ابن زيدون صورة فنية لمحبوبته التي فاقت حسنا وجمالا ويشبهها بالفضة والذهب يقول:

رَبْيْبُ مُلْكٍ، كَأَنّ الله أَنْشَأَهُ مِسْكًا، وَقَدّرَ إِنْشَاءَ الوَرَى طِيـــــنَا

أَوْصَاغَهُ وَرِقًا مَحْضًا، وَ تَوَجَهُ مِنْ نَاصِعِ النّبْرِ إِبْدَعًا وَتَحْسِيْنَا[2]

(البسيط).

وقد استخدم الشعراء التشبيهات في معرض وصفهم للسجن الذي اعتقلوا فيه، ووصفوه ببعض الصفات التي تعبر عن مدى المعاناة التي كن يعيشها الشاعر السجين يقول ابن عمار وقد شبه سجنه بالقفار والصروح يقول:

تَرَى لَيْلَ القِفَارِ وَظُلْمَتَهُ كَأَنّهَا مِرْقاه مَرَدَتْ بِهَا الجِنُ إلى النَسر [3]

(الكامل).

ب / الصورة الاستعارية:

– الاستعارة صورة فنية وهي من أهم الأساليب البيانية، تعبيرا وأجملها تصويرا، وأكملها تأدية من مفاجأة للمعنى، تقوم أساسا على دعامتين هما:« **المستعار منه الذي هو أصل وأساس في الصورة الشعرية الاستعارية والمستعار له وهو الفرع**».[4]

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 72.

[2] – ابن زيدون: الديون، ص 10.

[3] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق2، ج1، ص90.

[4] – ينظر: فهد خليل الزايد: البلاغة بين البديع والبيان، ص 190. وينظر: سمير أبو حمدان: الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، (د ط)، بيروت، لبنان، 1991، ص 152.

– لقد عمد شعراء الاستعطاف إلى توظيف الاستعارات لعمق معناها وقدرتها على الايجاز والإدماج بين العناصر المتنافرة، والتكثيف اللغوي، ومزج المتناقضات، وإبداع المعنى في صورة مبتكرة جديدة جعلتها في طليعة الفن البياني، بل أصبحت التعبير البياني المطلق، فيها: « **ينقلب المعقول محسوسا تكد تلمسه اليد، وتبصره العين، ويشمه الأنف، وبالاستعارة تتكلم الجمادات، وتتنفس الأحجار وتجري فيها آلاء الحياة**».[1]

– ففي شعر الاستعطاف كان ميل الشعراء إلى الصورة الاستعارية واضحا، وانطلاقا من قدرتها على رسم معالم تجربتهم الشعورية ونقل أحاسيسهم، وقد عمد شعراء الاستعطاف في استعاراتهم إلى **التشخيص*** ليمنحوا خواطرهم ومشهدهم الشعري بناءا فنيا حيا. ومن ذلك ما نلحظه في شعر ابن زيدون الذي طالما شاركته الجمادات نكبته وجعلها ملاذا يخفف عنه معاناته يقول في قصيدة يذكر فيها ولادة بنت المستكفي ويحن إليها يقول:

إِنّي ذَكَرْتُكَ بالزَهْراء مُشْتَاقًا و الأُفْقُ طلقٌ وَوَجْهُ الأَرْضِ قَدْ راقَا

وللنَسِيمِ إِعْتِلاَلٌ، فِي أَصَائِلِهِ كَأَنَّهُ رَقّ لِي، فَاعْتَلَ إِشْفَقَا

والرَوْضُ عَنْ مَائِهِ، مُبْتَسِمٌ كَمَا شَقَقْتَ، عَنِ اللّباتِ أَطْوَقَا[2]

(البسيط).

– أما المعتمد فصور قيوده في صورة الشخص ويبدأ في مناجاته والشكوى له لما عاناه من آلام وأحزن يقول:

---

[1] –ينظر: بكر شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 15.

* التشخيص: منح الصفة الإنسانية لغير الإنسان، أي: أنسنة الجماد وغير العاقل.

[2] – ابن زيدون: الديوان، ص 29.

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمُنِي مُسْلِمًا أَبَيْتَ أَنْ تَشْفَقَ أَوْ تَرْحَمَا

دَمِي شَرَابٌ لَكَ واللّحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ لاَ تُهَشِمْ الأَعْظُمَا [1]

(السريع).

ويقدم ابن عمار في الصورة التي ساقها في مقدمة إحدى قصائده للمعتمد حينما نقاه والده المعتضد من اشبيلية، معتمدا على رسم جزيئات المشهد على عناصر الطبيعة المختلفة كالنهر والأراقم والروض والرياح والشمس والنجوم ... ليولد أثرا حسيا خاصا لدى المتلقي، وتوسل في سبيل ذلك بالمحور التماثلي الاستعاري يقول وهو يذكر المعتمد بأيام مضت لعلها تشفع له عند والده.

وَلَيْلٍ لَنَا بِالسدِ بَيْنَ مَعَاطِفٍ و النّهْرِ يَنْسَابُ انْسِيَابَ الأَرَاقِـــــــــمِ

حَيْثُ اتخَذْنَا الرّوضَ جَارًا تَزُورُنَا هَدَايَاهُ في أَيْدِي الرّيَاحِ النَوَاسِـــــــــمِ

سَقَتْنَا بِهِ الشَمْسُ لِلنُجُومِ وَمِن بَدَتْ لَهُ الشّمْسُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَيْلِ فَاحِمِ

وَيَتنَاوَلُنَا وَاشٍ يُحسُ كَأَنّمَا حَلِلْنَا مَكَانُ الشّرِ مَنْ صَدْرِ كَاتِـــــــمِ

أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِرَأفَةٍ مِنَ الّهْرِ، وادّهْرُ ظَالِمِـــــي [2]

(الطويل)

[1] – المقرئ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص 100.

[2] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 153.

وإلى جانب هذا فقد استخدم الشعراء المستعطفون بعض الكنايا، ولعل ذلك يرجع إلى كون الكناية من أهم الأساليب اختصارا للمعنى يقول ابن اللبانة يعتذر للمتوكل ويذكره بأنه أخطأ مرة فقد أحسن مرات عديدة يقول:

وَإِنْ تَكُ مَرَة عَثَرَتْ جِيَادِي فَمَا قَدَمْتُ مِنْ سَبَقٍ كَفَاكَا[1]

(الوافر).

فالشاعر استخدم عبارة (عثرت جيادي) كناية عن الخطأ.

ويعرض ابن زيدون إلى أسلوب الكناية ليعبر لأبي الحزم أن الوشاة الذين أفتروا عليه وأفسدوا علاقاته معه فهم كالشر يهيمون في كل واد يقول:

حِذَارُكَ أَنْ تَغْتَرَ مِنْهُمْ بِجَانبٍ فَفي كُلِ وَادٍ مِنْ نَوَائِبَهُم سَعْدُ[2]

(الطويل).

فالشاعر استخدم عبارة (في كُلِ وَادٍ سَعْدُ)[3] كناية عن الشر.

ويقول أيضا:

مَا لأَبي الوَلِيْدِ، مَأْلُوفِنَا بْرَقَ في الأُلْفَةِ عَنْ خُلْبٍ[4] (السريع).

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي : الديوان، ص 48.

[2] – ابن زيدون: الديوان، ص 136.

(3)–أحمد بن ابراهيم الميداني:مجمع الأمثال،تحقيق:محمد مجيد عبد الحميد،دار المعارف،ط1،القاهرة ،مصر،باب الفاء،2006،ص2725.

(4)–ابن زيدون:الديوان،ص140.

فالشاعر كنى بعبارة (أَبْرَقُ مِنْ الخُلَبِ) عن العطاء والجواد في ظل حكم بني جهور.

واستخدم الشعراء الكنايات أيضا في معرض لمدحهم لمستعطفيهم فقد خاطب المعتمد أباه المعتضد قائلا له:

فَأَطْوَلُهُمْ بالأَيَادِي يَدًا وَأَتَبْتُهمْ فِي المَعَالِي قَدَمْ[1]

(المتقارب).

– والمقصود من (أطولهم بالأيادي) الغلبة وثبات الملك والكرم والعطاء.

بَعْدَ سَعَادَةٍ يقول الشاعر ابن عمار:

أَصْبَحْتُ في السُوْقِ يُنَادَى عَلَى رَأْسِي بِأَنْوَاعٍ مِنَ المَالِ[2] **(السريع)**

ويقول أيضا إبن زيدون:

وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبَنِي والنَجْمُ فِي قَرْنٍ فَفِيْمَ أَصْبَحْتُ مُخْطًا إِلَى العَفْر[3]

(البسيط).

ومما سبق نلاحظ أن الشعراء المستعطفين قد اهتموا بإظهار عنصر الجمال الفني في معظم قصائدهم الاستعطافية من خيال وجودة تشبيه، والإكثار من استعمال الإستعارات والكنايات، التي اتخذوها كوسيلة لاضفاء بعض التأثير والجمال على معانيهم والتأثير في من يستعطفون.

---

(1)–المقري :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4،ص98.

(2)–ابن بسام:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج2،ص419.

(3)–ابن زيدون:الديوان،ص150

2/ الصورة البديعية:

– البديع علم تعرف به وجوه تحسين الكلام من حيث الألفاظ ووضوح الدلالة على نحوٍ يُكْسِبُ التعبير الشعري طرافة وَجَدَةٍ[1]، لذلك لم تخل قصائد الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف من المحسنات البديعية لما فيه من تأثير ووضوحا للمعنى، بالإضافة لكون معظم هذه الأشعار نظمت في مجملها في لحظات قاسية لذلك أضفت الجمالية التي يريدها الشاعر، ومن هذه المحسات ما جاء في خدمة النص نذكر المقابلة – الطباق– الجناس اتخذها الشعراء المستعطفون كوسيلة للحصول على عفو من يخاطبون. فقد طابق الراضي بين (العزة والمذلة) حين كان بجانب والده، فقد كان يعيش عزيزا ثم أمسى ذليلا حين أبعد يقول:

وَأَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ بِهِ عَزِيزٌ يُنَادِيهِ فَيَرْحَمُهُ ذَلِيْلٌ [2]

(الوافر).

أما ابن زيدون فقد طابق بين (التلاقي والتفرق) حين يستعطف محبوبته يقول:

وَقَدْ نَكُوْنُ وَمَا يُخْشَى تَفَرقنَا فَاليَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلاَقَيْنَا [3]

(البسيط).

وطابق بين (الجنة والنار) عندما وصف ما تعرض له من سجن وعناء يقول:

نَارُ بَغْيٍ سَرَى إِلَى جَنّةِ الأَمْنِ لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالْصَرِيْمِ[4](**الخفيف**).

ويقول ابن عمار: وهو يقابل بين العفو و العقاب:

---

[1] – فهد خليل الزايد: البلاغة بين البيان والبديع، ص: 154.

[2] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 72.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 09.

[4] –المصدر نفسه :ص 125.

سجاياك إن عفوت أندى وأسمح وَعِقَابُكَ- إِنْ عَاقَبْتَ- أَجْلَى وَأَوْضَحُ[1]

(الطويل).

وقد قابل ابن زيدون بين التلاقي والضحك والتداني والليالي البيضاء من جهة وبين التفرق والبكاء والثنائي والليالي السوداء من جهة أخرى يقول:

أَضْحَى التَنَائِي بَدِيْلاً عَنْ تَدَاينْنَا وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافَيْنَا

ران الزّمَان الذي مَزَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسَا بِقُرْبَهِمْ قَدْ عَادَ يُسْكِيْنَا

وَقَدْ نَكُوْنُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُقَنَا فَاليَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى يَلَاَقِينَا

حَالَتْ لِفُقْدَكُمْ أَيَمَنَا فَغَدَتْ سُوْدًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيْضًا أَيَادْينَا[2]

(البسيط).

ويقابل المعتمد بن عباد بين ما كان عليه من عز وسلطان، وما آل إليه من ذل وهوان يقول:

[1] – ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 138.

[2] – ابن زيدون: الديوان، ص 09- 10.

فِيْمَا مَضَىَ كُنْتَ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورًا فَسَاءَكَ العِيْدُ فِي أَغمَاتَ مَأسُوْرًا [1]

(البيسط).

يعيش على إثرها في جحيم يقول:

هَوَىَ بِي البَيْنُ مِنْ جَنَةٍ لي فيها نَعِيْمٌ بِكُلِ فُؤَادِي بِعَذَابِ أَشْقى وَ جَحِيْمٍ[2]

(الطويل).

فقد قابل الشاعر بين الجنة ونعيمها وبين الجحيم وشقائه بعد ابتعاده عن ملكه.

– ومن المحسنات اللفظية التي استخدمها الشعراء المستعطفون أيضا الجناس بنوعيه، ومما سيق على شكل التجانس التام، متطابق لإيقاع بين ركنيه المتجانسين قول ابن زيدون في استعطاف أبا الوليد بن جمهور مشيدا بكرمة:

فَقَبَلْتُ اليَدَ مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهْرُهَا– الدّهْرُ – مَحَلُ لِلْقُتل[3]

(الخفيف).

وقوله أيضا في المستعطف نفسه منهوها بعطاياه الجزيلة:

إذَا حَسَبَ النّيْلَ الزّهِيْدَ مُنِيْلَهُ مَا لِعَطَايَاهُ الحِسَابُ حِسَابُ[4]

(الطويل).

[1] – ينظر: ابن بسام/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 73.

[2] – ينظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص 143.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 343.

[4] –المصد نفسه:ص 374.

وقد استهل ابن اللبانة قصيدة استعطافية أرسلها إلى ناصر الدولة مبشر العامري بالتغزل يقول:

غُصْنُ تَحَرَكَ في الحُلَيّ وَفي الحِلى عَنْ مَائِلٍ قَلْبِي إِلَيْهِ مَائِلُ[1]

(البسيط).

ومما سيق من أشعار على شكل التجانس الناق مختلف الإيقاع بين رُكنية المتجانسين ما يأتي: قول ابن زيدون أثناء مدحه لأبي الحوم بين جمهور وقد جانس بين لفظة " يَظَلُ" بمعنى الدوام ولفظة " الأَظَلُ" بمعنى باطن خف البعير يقول:

سَنَسامٌ – مِنَ المَجْدِ – عَالِيَ الذّرَا يَظَلُ العِدَا مِنْهُ تَحْتَ الأَظَلُ[2]

(الطويل).

– وقوله في مقدمة إحدى مدائحه لأبي الحزم بن جهور، شاكيا قسوة الدهر حينما أصابه بسهام الاعتقال:

لَعَمْرُ اللَيالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ نَزْعُهَا لَقَدْ قَرَطسْتُ بِالنَبْلِ في مَوْضِعِ النُبْلِ[3]

(الطويل).

فقد جانس الشاعر بين النّبل وهي السهام، وبين النُبل وهي المروءة.

– كما يجانس ابن اللبانة بين لفظة " نَشَرْ" بمعنى الرائحة والعبير ولفظة " بَشْر" بمعنى السرور وطلاقة الوجه يقول:

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 71.

[2] – ابن زيدون: الديوان، ص 421.

[3] – المصدر نفسه:ص 263.

وَكَأَنّ نَشْرَ زَمَانِهِ مَعَ بَشْرِهِ بُكرٌ لأَيَّامِ الصبَا وَأَمائِلُ[1]

(الكامل).

– وهكذا نقول أن الشعراء المستعطفون وعمدوا إلى توظيف بعض المحسنات البديعية، وإن كانت قليلة بشكل عام خدمة للمعنى الذي أرادوه ليزداد وضوحا وتأثيرا، للحصول على العفو من يخاطبون.

– الأوزان والقوافي:

1/ الوزن: يمثل الوزن البنية الإيقاعية الأساسية في موسيقى الشعر لكونه وسيلة لجعل اللغة شعرا حيث يمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في بعض على نطاق واسع[2].

– وتتميز قصيدة الاستعطاف من بين قصائد الشعر بأنها حصيلة التفاعل بين المبدع والتلقي وهذه الطبيعة الخاصة التي تنحو بفن الاستعطاف دائما نحو الآخر جعلت الشاعر بجانب اهتمامه بالصورة في بناء قصائده يهتم بالتشكيل الصوتي الذي يمكن أن يكون له تأثير إنفعالي على الشخص المُسْتَعْطَفْ، ولا سيما التشكيل الإيقاعي الذي يرتَكزُ على تردد ظاهرة صوتية معينة على مسافات زمنية محددة.[3]

– فإذا نظرنا إلى الأوزان التي اتخذها شعراء المرحلة إطار موسيقيا لفنونهم نلاحظ أنهم أكثروا من الأوزان التامة. إلا أن لبعضها على البعض. لذلك أن معظم القصائد الاستعطافية قد نظمت على نمط القصيدة التقليدية التي تعتمد على ركيزتين أساسيتين هما:

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 81.

[2] – ابراهيم أنيس:موسيقى الشعر،المطبعة الأنجلو مصرية،ط5،القاهرة ،مصر،1955،ص174.

[3] –المرجع نفسه: ص 176.

وحدة الوزن ووحدة القافية، إلا ما ورد من بعض الشعراء من مقطوعات ومسمطات وأراجيز.[1]

وأما من ناحية البحور فقد كانت البحور التامة (الصافية) الأكثر شيوعا في معظم الأشعار الاستعطافية كالطويل والكامل والبسيط والخفيف وقلما نظم الشعراء أشعارهم على البحور المجزوءة. كمجزوء الرمل ومجزوء الخفيف ومجزوء الكامل، وهذا يدل على أن الأشعار الاستعطافية نُظِمَت في حالة عكست انفعالهم النفسي، والحديث عن اضطراب الحالة النفسية لشعراء هذه الفترة يعود إلى الناحية السياسية والاجتماعية، فهم كانوا يتعرضون للنكبات والسجن. الذي كان يلزم أن يكونوا منفعلين، وذلك باتخاذهم البحور الطويلة في غالب نظمهم، لأن ما تتميز به موسيقى هذه البحور من هدوء وخفة وتلاؤم وانسجام يعكس لنا عاطفة التحسر والتأسف والتشكي والتألم لدى الشاعر[2].

يقول النويهي: « **إن البحور الشعرية وإن لم تختلف في نوع العواطف التي تصلح لها، فهي تختلف في درجة العاطفة**».[3]

– ولعل هذا يثبت أن وزن القصيدة وإيقاعها لا يحدد موضوعها بقدر ما تحددهما الظروف والملابسات والتأثيرات التي لا يمكن فصلها عنهما، لأن الشاعر حين يريد أن يقول شعرا لا يحدد لنفسه بحرا بعينه، وإنما هو يتحرك مع أفاعيل نفسه، فَيُخْرِجُ الشعر في الوزن الذي يصدق له من الأوزان.

---

[1] –المرجع السابق:ص 177.

[2] – المرجع نفسه: ص 176– 178.

[3] – محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسة تقويمية، دار القومية للنمشر، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د ت)، ج1، ص 61.

2/ القافية:

– القافية تشريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون وزنا وقافية، فهي إذن ركنٌ أساسي آخر من أركان القصيدة في بنائها وموسيقاها، وهي لازمة إيقاعية متمثلة في تكرار صوت معين وعنصر تطريب في القصيدة. وصلة ربط بين أبياتها[1].

– لقد أولى معظم شعراء الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف القافية عناية خاصة لا تقل عن الوزن، وبحثوا في الكلمات المناسبة لوضعها في المكان المناسب، لكونها حطة موسيقية ومعنوية في آن واحد، وحين نتأمل بعض القوافي في لشعر الاستعطاف نرى أن أكثر الحروف ورودا للقافية هي (حرف النون– اللام– الراء– الحاء– الميم –الباء) والتي جعلها الشعراء كرويا لقصائدهم بكثرة، إضافة إلى حرف (القاف، الدال) والتي تعبر عن الحالة النفسية للشاعر.

– وهكذا كانت عناية شعراء الاستعطاف مقتصرة على حرف دون غيره، فكانت حروف الهجاء كلها واردة إلا بعض الحروف التي نادرا ما تكون رويا (كالذال، الغين، الخاء، الشين، الزاي)[2]. من هذا لاحظت أن شعر الاستعطاف حقل بأوزان تنسجم وتتلاءمُ مع موضوعاته، كما أن الشعراء أيضا حققوا الملائمة بين أواخر الأبيات في أشعارهم، حين اختاروا أفضل الحروف وأكثرها شيوعا لروي قوافيهم.

II/ استلهام التراث:

– إنّ التعامل مع التراث يستلزم وعيا حقيقيا به، لأن الوعي بالتراث والوعي بالدور التاريخي هما القدمان اللتان يمشي بهما التراث، لذلك نرى أن الشعراء الأندلسيين. شعراء

---

[1] – ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 247.

(2)–محمد جاسر:الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ،ص181.

الاستعطاف خاصة، قد تعاملوا مع موروثهم على أساس أنه مادة استيحاء أو استلهام وعايشوه وانصهروا فيه بأشعارهم وربطوه بقضاياهم وتجاربهم حتى غدا ملمحا بارزا من الملامح الفنية للقصيدة الأندلسية، كما أنهم لجؤا إليه كي يستمدوا من مصادره المتعددة ما يعينهم على التعبير عن رؤاهم وأفكارهم، باعتبار هذا " التراث" منجم طاقات إيحائية لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، وعلى التأثير في نفوس المستعطفين.

– س نحاول الوقوف عند نهج الشعراء الأندلسيين – في عصر ملوك الطوائف– في التعامل مع تراثهم سواء كان دينيا أو أدبيا أو تاريخيا وتبيان كيفية إفادتهم منه في التعبير عن رؤاهم.

1/ التراث الديني:

– الدارس المتعمق للشعر الأندلسي – في عصر ملوك الطوائف– يلحظ وبشكل جلي أن القرآن الكريم كان مصدرا أساسيا من المصادر التي علق عليها الشعراء الأندلسيين في قصائدهم الاستعطافية، باعتباره موردا عذبا يفيدون منه في إغناء إبدعاتهم، وإضفاء الجمال الفني عليها، وهذا إن دل على شيء يدل على عمق ثقافتهم الدينية وقدرتهم على توظيف محفوظهم من القرآن الكريم. [1].

– يصور ابن اللبانة حالته النفسية عند ما أجبر على فراق المتوكل بيطليموس بحالة آدم – عليه السلام – لحظة خروجه من الجنة، وما يتبع ذلك من ألام نفسية يقول:

رِضَى المتوكل فارقتهُ فلم يُرْضِني بعده العالَم

[1] – إبراهيم منصور محمد الياسين: استيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2006، ص 15.

وكانت بطليوس لي جَنَةً فجئتُ بِمَا جَاءَهُ آَدَمُ[1]

(الطويل).

كما استعان في تصوير معاناته النفسية الناتجة عن حسد الحساد وكيد الأعداء بقصة إبراهيم – عليه السلام – ومعاناته الشديدة مع قومه، مؤكدا أن نيران الحسد والحقد التي أضر موهاله كانت بردا وسلاما عليه كنار إبراهيم يقول:

وَلَولاَ مُقَامِي بَيْنَ العُدَاةِ لَمَا كُنْتُ أُوْثِرُ عَنْكَ الرّحِيلاَ

عَسَى رَأْفَةً فِيَ سَرَاحٍ كَرِيمٍ أَبُلُ بِبَرْدِ نَدَاهُ الغلِيلاَ

لَقَدْ أَوْقَدُ وَالِي نِيرَانَهُمْ فَصَيَرَنِي اللهُ و فيهَا الخَلِيلاَ[2]

(المتقارب).

– أما ابن زيدون فيستوحي من القصة ذاتها درسا في الصبر على إيذاء حساده ومبغضه فيقول وهي في السجن مخاطبا سجانه أبا حزم بن جهور يشكو إليه سوء حاله يقول:

نَارُ بَغْيِ سَرَى إِلَى جَنَةِ الأَمْـ نِ لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالّصَرِيمِ

بِأَبِي أَنْتَ !! إِنْ تَشَأ تَكُ بَرْدًا وَسَلاَمًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ[3]

(الخفيف).

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 185.

[2] –المصدر نفسه:ص 171.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 125.

– أشار الشاعر في البيت الأول إلى قوله تعالى: « **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم**»[1] أما في البيت الثاني فقد قَرَنَ الشاعر شخصيته بشخصية إبراهيم – عليه السلام– وما حيك ضده من مكائد قومه وإلقائه في النار فيصبر

وإجمالا للقول يكون استيحاء الشعراء الأندلسيين في عصر ملوك الطوائف مثل هذه القصص والآيات القرآنية؛ ما هو إلا توظيفا فنيا يؤدي إلى إغناء تجاربهم الشعرية ويمنحها أبعادا جديدة تتفق وتصوراتهم الذاتية، ويكسب أشعارهم عمقا وثراءا، وتثير فكر القارئ ووجدانه.

2/ التراث الأدبي والتاريخي:

ينطلق الشعراء الأندلسيون في احتفائهم بهذا الموروث واستلهامهم لنصوصه، من إيمانهم العميق بالحضارة العربية الإسلامية، وولعهم الشديد بالتراث واطلاعهم الواسع على جذوره وروافده، ووعيهم به وعيا يجعله حاضرا في أشعارهم؛ وقد تبلور هذا في الأشعار– الأمثال ...

يقول ابن زيدون:

أَيُهَذا الوَزِيرُ هَا أَنا أَشْكُو وَالعَصَا بَدْءُ قَرْعِهَا لِلحَلِيمِ[2](**الخفيف**).

فابن زيدون يُضَمِنُ بيته المثل القائل " إن العصا قُرعت لذي حِلْمِ" ويضرب لمن يتنبه إذا نُبِهَ.

---

[1] – القلم: 19– 20.

[2] – ابن زيدون: الديون، ص 134.

ويقول ابن اللَّبانة مستعطفا صاحبته فيما يتعلق بموضوع الرحيل؛ لأن دموعه قد فاضت.

وَقَفَ الفُرَاقُ أَمَامَ عَيْنِي غَيْهَبَا فَقَعَدتُ لاَ أَدْرِي لِنَفْسِي مَذْهَبَا

يَا مُوقِدًا بِجَوَانِحِي نَارَ الأَسَى رِفْقًا فَمَاءُ الدّمْعِ قَدْ بَلَغَ الزّبَا[1]

يضمن ابن اللبانة المثل القائل"بَلَغَ السَيْلُ الزّبَى" ويضرب لمن جاوز الحد.

وقد يلجأ الشاعر أحيانا إلى أسلوب المعارضة كمعارضة ابن زيدون للبحتري في قصيدته التي كتبها يتغزل ويستعطف محبوبته " ولادة" يقول ابن بسام « **إن ابن زيدون بحتري الأندلسي لأنه حذا حذوه**»[2] يقول:

أَضْحَى التَنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

أَلاَ– وَقَدْ حَانَ صُبْحُ البَيْنِ – صَبحَنَا حَيْناً فَقَامَ بِنَا لِلْحِينِ دَاعِينا

أنّ الزّمَانَ الّذِي مَازَالُ يُضْحِكُنَا أُنْسًا بِقُرْبِهِمُ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا ؟[3]

(البسيط).

عارض بها مقدمة قصيدة البحتري والتي مطلعها:

يَكَادُ عَاذِلُنَا فِي الحُبِ يُغْرِيْنَا فَمَا لَحَاجُكَ فوق لَوْمِ المُحِبّينَا[4]

(الوافر).

---

[1] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 105.

[2] – ابن بسام: الذخيرة ،ج1، ص 379.

[3] – ابن زيدون: الديوان، ص 141.

[4] – البحتري: الديوان، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، د ط، بيروت، لبنان، (د. ت)، 150، ص 81.

– أما بالنسبة للأحداث والشخصيات التاريخية فإن الشاعر قد يهدف من خلالها إلى إشارة معان وصُوَرٍ في ذهن المتلقي يقرب بها المعاني التي يريدها، وقد تمكن شعراء الأندلس – عصر ملوك الطوائف– من تطويع ثقافاتهم التاريخي لشعرهم قد عموه بها فلجأ وإلى توظيف الأحداث والوقائع التاريخية التي تلتقي ومضمون تجاربهم، خاصة أمام ما كانت تشهده الأندلس آنذاك من فتن وحروب في هذا العصر.

ويقول أبن زيدون:

فَلَمْ أَنْتَشَرْ حَرْبَ الفُجَارِ وَلَمْ أَطمَعْ مُسَيْلَمَةَ إِذْ قَالَ: إِنّى مِنَ الرّسُل[1]

(الطويل).

– يشير الشاعر إلى " حرب الفجار" وهي الحرب التي فجر فيها عرب الجاهلية لأنهم قاتلوا فيها في الأشهر الحرم.

أما " **مسيلمة**" وهو زعيم بني حنفية الذي ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أنه شريك له في الولاية على الأمة.

– ويقول ابن اللبانة في مدح المعتمد بن عباد – بقصد استعطافه –

مَلِكٌ غَدَا الرّزْقُ مَبْعُوثًا عَلَى يَدِهِ وَظَلّ يَجْرِي عَلَى أَحْكَامِهِ القَدَرُ

مُقَدَمُ عَلَيْنَا السَبْقِ يَحْكِي فِي بسَالَتِهِ عَمْرًا وَلَكِنّهُ فِي عَدْلِهِ عُمَرُ

يُجْلِي عَلَيْنَاَ بُدُورًا فِي مَحَاسِنِهِ وَتُسْتَهَلُ لَنَا مِنْ كَفّهِ بَدْرُ[2]

(الكامل).

---

[1] – ابن زيدون: الديوان، ص 161.

[2] – ابن اللبانة الأندلسي: الديوان، ص 137.

فالشاعر يستدعي شخصين تارخيتين لهما أثرهما في نفوس الناس وعقولهم هما: عَمْرُ بن مَعْدٍ بن يكرب وعُمَر بن الخطاب، وهم من أكثر الشخصيات حضورا في الشعر الأندلسي.

لقد اهتم شعراء الاستعطاف بالتراث اهتماما بالغا وراحوا ينهلون منه، ويستقون من معينة حتى صار ملمحا بارزا في أشعارهم، ومن هنا فإن معالجة التراث وتبيين أثره في تجاربهم أمر جدير بالدراسة، تروم هذه الدراسة بصورة أساسية إلى إبراز الأبعاد التراثية، وبيان أثرها في تشكيل تجارب هؤلاء الشعراء وتجسيد همومهم والتبصير عن رؤيتهم للكون والإنسان.

– و من خلال استقراء نماذج البناء الفني في قصائد الاستعطاف في الأندلس، نميز بين عاملين اثنين هما:

1/ الذوق النقدي والجمالي للعصر؛ الذي أخذ يهتم باكتناز الصورة والإكثار من التشبيهات والاستعارات.

2/ التجسيد والتشخيص إضافة إلى سهولة اللغة، واستعمال البحور الطويلة الصافية، واستلهام التراث وتوظيفه خدمة للمعنى والمبنى .

خاتمة

وبعد انهائي لهذا البحث، كان لا بد أن أقدم ثمرة هذ العمل، وأن أقف وقفة سريعة استعرض فيها تفاصيل شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف، وهي مجموعة من النتائج الخصها كالآتي:

1/ الاستعطاف فن شعري مرتبط بالحياة، يُعْنَى بتصوير جوانب من حياة الشاعر، وقد ازداد شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف زيادة لافتة للنظر وذلك لطبيعة الواقع السياسي لهذا العصر.

2/ كانت لغة الاستعطاف سهلة ، بسيطة، واضحة، اعتمدها الشاعر من دون تكلف أو تصنع، كما حوى معجمهم الشعري مجموعة الألفاظ التي عكست مأساتهم في سجونهم وتبين حالة الكآبة التي يعاني منها الشاعر.

3/ جمالية الأشعار الاستعطافية تظهر من خلال تركيز الشعراء على الصورة الفنية، واستخدامهم للمحسنات البديعية والبيانية، كما وفقوا في استخدام الموسيقى التي تعبر عن الحزن وذلك بالتركيز عن البحور الطويلة الصافية المناسبة.

4/ نلاحظ تفاوت في أساليب الشعراء من حيث قوة التأثير هذا ما يجعلنا ندرك أن الشعراء المستعطفون قد ساروا وفق أسلوبين هما:

* التصريح :مباشرة الشاعر بااستعطاف سجانه.

*التلميح:اعتماد الشاعر على وسيط يشفع له عند سجانه.

5/ كان استعطاف الوالد أكثر الأشعار الاستعطافية توفيقا مقارنة باستعطاف الحاكم والمحبوبة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: **المصادر**:

- 1/ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله:

* الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس: دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، ج1، 1979.

- 2/الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين ابن محمد:

* الأغاني، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، دار موفم للنشر، (د ط)، الجزائر، ج8، 2007.

-3/البحتري:

*الديوان،تحقيق:حسن كامل،دار المعارف،ط1،مصر،القاهرة،2010.

- 4/ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي:

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 1979.

- 5/ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك:

*الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، القاهرة، مصر،ج2، 1966.

- 6/ابن الحداد الأندلسي:

* الديوان، تحقيق: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

- 7/ابن حزم الأندلسي:

* طوق الحمامة بين الألفة والآلاف، تحقيق: فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، (د ط)، بيروت، لبنان، (د ت).

- 8/حسان بن ثابت الأنصاري:

* الديوان، تحقيق: عبد الله سنرة، دار المعرفة، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

- 10/أحمدابن ابراهيم الميداني:

*مجمع الأمثال،المطبعة الخيرية،مصر ،القاهرة،ط2005،1.

- 11-/الحطيئة جرول بن أوس:

* الديوان، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1867.

- 12/ابن خاقان الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي:

* قلائد العقيان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د ط)، تونس، 1990.

- 13/ابن الخطيب لسان الدين:

* أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، لبنان، 1956.

- 14/ابن رشيق القيرواني:

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، بيروت، لبنان، 1981.

- 15/الزمخشري جار الله محمود بن عمر:

* أساس البلاغة، تحيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

- 16/ابن زيدون:

* الديوان: تحقيق: كامل الكيلاني وعبد الرحمان خليفة، دار المعارف، ط1، القاهرة، مصر، 1932.

- 17/ابن عبد ربه الأندلسي:

* العقد الفريد، تحقيق: محمد التونجي، دار المدار الثقافية، ط1، البليدة، الجزائر، 2009.

- 18/عبد الواحد المراكشي:

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 1949.

-19/ابن عذارى المراكشي:

*البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق:ليفي بروفنسال وكولان،دار الثقافة،ط2،بيروت، لبنان،1983.

- 20/ كعب ابن زهير:

- الديوان،تحقيق:علي فاروق،دار الكتب العلمية،(دط)،بيروت،لبنان،

* الديوان، تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر، ط2، بغداد، العراق،1997.

- 21/ ابن اللبانة الأندلسي:

* الديوان، تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر، ط2، بغداد، العراق،2008.

- 22/ابن ماجةأبوعبد الله محمد ابن يزيد القزويني:

*السنن،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر،(دط)،(دت).

- 23/المقري أحمد ابن محمد:

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ج2.

- 24/ابن منظور جلال الدين محمد ابن مكرم:

* لسان العرب، دار صادر للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1956،مج 9، مادة عطف.

- 25النابغة الذبياني:

* الديوان، شرح وتعليق: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1996.

ثانيا/ المراجع:

- 1/إبراهيم أنيس:

* موسيقى الشعر، المطبعة الأنجلو مصرية، ط5، القاهرة، مصر، 1955.

- 2/إبراهيم منصور محمد الياسين:

*استيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2006.

- 3/أحمد مختار العبادي:

* في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، (د ط)، بيروت، لبنان، (د ت

- 4/أحمد هيكل:

*الأدب الأندلسي من الفتح حتى السقوط، دار المعارف، ط 14، القاهرة، مصر، (د/ ت).

- 5/اسماعيل شلبي:

* البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار نهضة مصر للنشر، ط1، القاهرة، مصر، (د ت).

- 6/أشرف محمود نجا:

* قصيدة المديح في الأندلس – قضاياها الفنية والموضوعية – عصر الطوائف،دار الوفاء،ط1،القاهرة،مصر ،2003.

-7/آزاد محمد كريم الباجيلاني:

* القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عهدي الخلافة والطوائف، دار غيداء، ط1، عمان، الأردن، 2015.

- 8//أمحمد بن لخضر فورا.

*من شعراء الأندلس ومختارات من شعرهم،مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري،ط1،بسكرة،الجزائر ،2013.

- بسيوني عبد الفتاح فيود: قراءة في النقد القديم، دار المختار للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

- 9/بطرس البستاني:

* أدباء العرب في الأندلس، دار مارون عبود للنشر، (د ط)، (د ب)، 2006.

- 10/بكر شيح أمين:

* البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

- 11/جابر عصفور:

* الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، دار المعارف، ط1، القاهرة ،مصر ،1980.

- 12/حسين مؤنس:

* معالم وتاريخ المغرب والأندلس، دار المستقبل، ط1، القاهرة، مصر، 1980.

- 13/حميد آدم ثويني:

*فن الأسلوب، دراسة تطبيق عبر العصور، دار الصفاء، ط1، عمان، الأردن، 2006.

-14/حنا الفاخوري:

* الجامع في تاريخ الأدب العربي المكتبة البوليسة، ط1، بيروت، لبنان،

15/سمير أبو حمدان:

* الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، (د ط)، بيروت، لبنان، 1991

- 16/شوقي ضيف:

* تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي"، دار المعارف، ط7، القاهرة، مصر، (د.ت).

17/عبد الرحمان علي الحجي:

* التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 1994.

- 18/عبد العزيز عتيق:

* الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 1976.

- 19/عز الدين اسماعيل:

* الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، (د ط)، (د ب)، 2006.

- 20/عمر إبراهيم توفيق:

* الوافي في تاريخ الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه.، دار غيداء للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2012.

21/عروة عمر:

*حياة العرب الأدبية "الشعر الجاهلي"،دار مدني للنشر،ط2، الجزائر،2008.

- 22/فهد خليل الزايد:

* البلاغة بين البيان والبديع، دار يافا العلمية، ط1، عمان، الأردن، 2009.

- 23/محمد أبو شوارب:

*جماليات النص الشعري "قراءة في أمالي القالي "،دار الوفاء ،ط1،القاهرة ،مصر،2006.

- 24/محمد النويهي:

* الشعر الجاهلي منهج في دراسة تقويمية، دار القومية للنشر، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د ت).

-25/محمد الياسين:

*استيحاء التراث في الشعر الأندلسي،"عصر ملوك الطوائف و المرابطين"،عالم الكتب الحديث،ط1،اربد،الأردن،2006.

26/-محمد بسيوني عبد الفتاح فيود:

* قراءة في النقد القديم، دار المختار للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

- 27/محمد شهاب العاني:

* الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، ط1، عمان، الأردن. 2010.

ثالثا/ الرسائل الجامعية:

1/محمد جاسر:

*الاستعطاف في الشعر الأندلسي،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة و الأدب العربي،إشراف: وائل أبو صلاح ،نابلس ،فلسطين،2010.

فهرس المحتويات

*مقدمة.....أ ب

*مدخل

-ملامح الحياة السياسية والأدبية في عصر ملوك الطوائف.....5

-شعر الاستعطاف معناه وتطوره.....8

-العصر الجاهلي.....11

-عصر صدر الإسلام.....14

-العصر الأموي.....16

-العصر العباسي.....18

-العصر الأندلسي السابق لعصر ملوك الطوائف.....20

* **الفصل الأول:** شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف أقسامه وأبرز شعراءه

-شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف.....25

-أقسامه وأبرز شعراءه.....26

***استعطاف الحاكم**.....26

-ابن زيدون.....26

-ابن اللَّبانة.....30

-ابن عمار.....35

***استعطاف الولد**.....39

-المعتمد ابن عباد.....40

-الراضي ابن المعتمد ابن عباد.....42

***استعطاف المحبوبة**.....44

-ابن زيدون 45

-المعتمد ابن عباد.....47

* **الفصل الثاني**: البناء الفني في قصيدة الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف

-بناء القصيدة.....51

-اللغة و الأسلوب.....57

-الصورة الشعرية.....71

-الأوزان و القوافي.....83

-استلهام التراث.....85

*خاتمة.....جـ

*قائمة المصادر و المراجع.....96

*فهرس.....103

الملخص:

سعت الدراسة إلى إظهار الأدب الأندلسي ، أو بالأحرى النص الشعري الأندلسي"شعر الاستعطاف خاصة" في عصر ملوك الطوائف، وذلك من خلال إبرازه ومحاولة الكشف عمَّا خفي فيه من روئ وأفكار ومبادئ، وكذلك إبراز ماتسم به من جماليات ؛ كالتحسين البديعي والتلوين الأسلوبي، والتفاف معجمه حول معاني الاسترحام، وتأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف و التراث العربي القديم.

ABSTRACT

The study shoues andalous poems especially andalou s text the king groupage. It tries to discover all their opinions

Ideas . principales in the first. In other side this study appears the diversity and beautiful styles. and the real meaning that

All come from koran and the praphet speach. It come also

From ancient traditional.